الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط موسومة بـــ :

أسد بن الفرات حياته العلمية ودوره في فتح صقلية

إعداد الطالب:

مداح إبراهيم.

إشراف :

د. زلماط إلياس.

الموسم الجامعي :

1441 – 1442هـ / 2020 – 2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــــــــداء

أهـدي هـــذا العـــمل إلـى

الوالـدين الكريمـين.

شكر وعرفان :

بعد شكر الله وحمده، جزيل الشّكر لكل من مدّ لي يد المساعدة، وفي مقدّمتهم الأستاذ المشرف زلماط إلياس الذي لم يبخل علي بتوجيهاته القيّمة ونصائحه المفيدة، فجزاه الله عنّا كل خير، كما أتوجّه بالشّكر إلى كل موظّفي مكتبة جاك بيرك بفرندة،

الرموز والإختصارات:

- ج : جزء.
- تر : ترجمة.
- ت : توفي.
- (د.تا) : دون تاريخ.
- (د.ب) : دون بلد.
- ص : صفحة.
- ط : طبعة.
- ع : عدد.
- م : التاريخ الميلادي.
- هـ : التّاريخ الهجري.
- مج : مجلد.
- تق : تحقيق.
- مر : مراجعة.
- P : صفحة.
- Vol : جزء.

مقـدمة

عرفت بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الثّاني الهجري ظهور العديد من الفقهاء والمحدّثين الذين كان لهم الفضل في نشر مذهب أهل السنة والجماعة، منهم علي بن زياد وسحنون بن سعيد وأسد بن الفرات وغيرهم. وهؤلاء شهد لهم التّاريخ بالعلم والفضل والصّلاح وخدمة الإسلام.

ولعلّ من أبرزهم أسد بن الفرات الذي ذاع صيته في عهد الدولة الأغلبية، فإنجازاته لا تزال حاضرة عند كلّ دارس للتّاريخ، ومن هذا المنطلق أحببت البحث في موضوع " أسد بن الفرات حياته العلمية ودوره في فتح صقلية "

من خلال هذا العنوان أردت تسليط الضّوء على شخصية أسد بن الفرات، وتتبّع نشاطه الفكري والعلمي وجهوده في نشر المذهب المالكي، بالإضافة إلى تبيان دوره في فتح صقلية.

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يخدم التّاريخ الإسلامي في مختلف الجوانب، لاسيما الجانب العلمي والسّياسي، فهو يعالج ويكشف عن الحياة العلمية لأسد بن الفرات، باعتباره أحد الشخّصيات البارزة التي ساهمت في نشر المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، وكونه فاتح صقلية التي أصبحت خلال الحكم الإسلامي مركزاً ثقافياً هاماً.

واخترت البحث في هذا الموضوع، لميلي الشّديد لدراسة تاريخ دولة الأغالبة، وخاصة جانب الحياة العلمية، فأقدمت على دراسة شخصية من شخصياتها المعروفة. بالإضافة إلى التّأثّر بشخصية أسد العلمية حيث كان عالماً في القرآن الكريم وحافظاً له، كما أنّه كان من روّاة الحديث وكان مُلمًّا بالكتاب والسّنّة ما جعله من فقهاء الأمة وقُضاتها، ومن الدّوافع أيضاً السّعي لإماطة اللثام عن هذه الشّخصية وإظهار فضله وعلمه ودوره في فتح جزيرة صقلية، كما أنّني رغبت في التّعرّف على شيوخه الذين كان لهم الفضل في تكوينه العلمي .

إلى غير ذلك من الأسباب التي تجعل الباحث حريصاً على أن يكون من أولئك الذين جمعوا بين العلم والدعوة من السلف الصالح، ويتأثر بسيرتهم الحسنة فيقتدي بهم ويسير على خطاهم عسى أن ينفع الإسلام والمسلمين بصالح أعماله.

وإذا جئنا إلى الدّراسات السّابقة التي درست شخصية أسد بن الفرات، فقد عثرت على مذكرة ماجستير لصاحبها عبدالله بن محمد العبد الله اليحيى، بعنوان أسد بن الفرات ودوره في العلم والدّعوة، تطرّق فيها إلى حياة أسد بن الفرات من حيث نشأته وطلبه العلم ودوره في الدّعوة، كما ذكر بعض شيوخه وتلامذته. بالإضافة إلى مذكرة ماستر بعنوان أسد بن الفرات وإسهاماته العلمية لمحمد سويح.

ضف إلى ذلك فقد عثرت على مجموعة من الدراسات العامة وغير المتخصّصة، منها كتاب: فتح صقلية بقيادة الفقيه المجاهد أسد بن الفرات للدكتور شوقي أبو خليل، وكتاب على شكل قصة إسلامية بعنوان أسد الإسلام فاتح صقلية، للدكتور عبدالرزاق الحاج عبد الرحيم حسين.

والإشكالية تدور حول شخصية أسد بن الفرات، ودوره في فتح صقلية، وجاءت فروع هذه الإشكالية تحت التّساؤلات التالية :

- من هم أشهر شيوخ أسد ابن الفرات وأبرز تلامذته؟ .
- ماهي أهمّ مؤلّفاته؟ .
- ما مصير حملته على صقلية وكيف كانت وفاته ؟ .

ولمعالجة الإشكالية المطروحة، والإجابة على فروعها، اعتمدت على المنهج التاريخي السردي، حيث قمت بسرد بعض الأحداث مثل أحداث فتح صقلية، ورحلة أسد إلى المشرق، وسرد بعض المواقف التي وقعت لأسد مع شيوخه، كما قمت بتتبع حياة أسد بن الفرات وذكرت ترجمة مختصرة لبعض شيوخه وتلامذته.

وبالنّظر إلى طبيعة الموضوع والأهداف المرجوة منه، رأيت تتبّع خطة عمل من فصل تمهيدي وفصلين، فالفصل التّمهيدي عنونته بـ : الأوضاع العامة إفريقية زمن أسد بن الفرات 142 – 213هـ درست فيه بشكل موجز الأوضاع السياسية والإجتماعية والإقتصادية والدينية خلال حقبة الدّراسة.

أمـا الفـصل الأوّل فقـد جـاء معنـونا بـ: أسـد بـن الفـرات وحـياته العلميّـة، وقسّـمته إلى أربعـة مباحث، فتطرّقت فيه إلى حياة أسد من حيث مولده ونسبه ونشأته، ثم رحلته العلمية، وأبرز شيوخه وتلامذته، وآثاره ومكانته العلمية.

والفـصل الثّـاني خَصّصته لدور أسد فـي فتـح صقلـية وتضـمّن هو الآخر أربعة مباحث، حيث تطرّقت فيه إلى التعريف بجزيرة صقلية وأوضاعها قبيل الفتح الإسلامي، ثمّ ذكرت بعد ذلك أسباب ودوافع الفتح ليأتي بعدها فتح صقلية وأخيراً نتائج هذا الفتح.

وفي نهاية البحـث خاتمة ضـمّنتها أهـم النتـائج الـتي توصلت إليهـا، ثم ألحقت البحث ببعض الملاحق والفهارس رأيت ضرورتها لتكون الدراسة واضحة ولتعمّ الفائدة المرجوّة من هذه الدّراسة.

وقـد اعتـرض سبـيلي بعـض العقـبات أذكـر منهـا صعـوبة التّنسـيق بيـن المـادة العلـمية المتوفرة وتـرتيبها لـوجود تشـابه كبيـر فـي المعلـومات، وقلّة الكتـابات المتخصّصـة في شخصيـة أسـد بـن الفـرات وحياته ومناقبه.

ولإنـجاز العمـل تتبّعت مصـادر المـادة في مظانها، لاسيما كتب التّراجم والطّبقـات التي تختصّ بدراسة سِير حياة الأعلام ومنجزاتهم في الحياة الفكرية والعلمية، كالعلماء، والأدباء، والحكّام، أو تاريخ رجال المذهب، وكذلك كتب التّاريخ وهي في مجموعها تتطلّب تتبّعاً واستقراء واستنتاجا لانتقاء ما يُمكن أن يخدم الموضوع، ويمكن تقسيم مصادر الدّراسة إلى المجموعات التالية:

أولا: كتب التراجم والطّبقات:

ونذكر منها : رياض النفوس لأبي بكر المالكي (ت بعد 453هـ – 1061م)، وهو على رأس المصـادر الـتي اعتمـدتها في البحـث، بالإضـافة إلى كتـاب ترتيـب المـدارك وتقريـب المسـالك للقاضـي عياض (ت544 هـ - 1149 م)، وهـذان المصـدران وجـدت فيهمـا مـادة مهمـة عـن حيـاة أسـد بـن الفرات بمختلف جوانبها، هذا إلى جانب كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عبدالرحمن الدباغ (ت696هـ - 1296م)، والذي أفادني كثيراً .

ومن المصادر المهمة التي اعتمدتها أيضاً، كتاب طبقات علماء افريقية لأبي العرب التميمي (ت333هـ - 945م)، ووفيات الأعيان لابن خلّكان (ت681هـ - 1282م)، والدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي (ت799هـ – 1838م).

ثانياً : كتب التاريخ العام :

نذكر منها: كتاب البيان المغرب لابن العذاري (ت بعد 712هـ - 1312م)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630هـ - 1232م)، والحلّة السيراء لابن الأبار(ت 657هـ - 1260م)، وتاريخ ابن خلدون (ت 808هـ - 1405م)، وتاريخ مملكة الأغالبة لابن وردان.

ثالثا: المراجع الحديثة:

أما عن المراجع المتخصّصة فهي قليلة وفيها معلومات عامة، ومن المراجع التي اعتمدتها: تاريخ المغرب العربي للمؤلفين خليل ابراهيم السامرائي وعبدالواحد ذنون طه وناطق صالح مطلوب، وكتاب مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري للحسين محمد شواط، وهذا الكتاب أفادني في مختلف مراحل الدّراسة خاصة في الفصل الأول والثاني، وعصر الدول والإمارات ليبيا وتونس وصقلية لشوقي ضيف، وكتب متخصصة في تاريخ صقلية مثل كتاب تاريخ صقلية الإسلامية لعزيز أحمد، وكتاب المسلمون في جزيرة صقلية وإيطاليا لأحمد توفيق المدني، وكتاب العرب في صقلية وأثرهم في نشر الثقافة الإسلامية للأستاذ يوسف حسن نوفل.

وعموما كان سير البحث عاديا، إذ توفّرت لدي معظم المصادر والمراجع المطلوبة، وغابت عنّي المنهجية والخبرة في التّعامل معها، مما تطلّب مني جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً، وآمل أن أكون قد تداركت بعضاً من ذلك بهذه التّجربة وهذا العمل وإنّي أنتظر المزيد.

الفصـل التّمهـيدي

الأوضاع العامة في افريقية زمن أسد بن الفرات

(140 – 213هـ / 757 – 830م)

- أوّلا: الأوضاع السّـياسية.
- ثانيا: الأوضاع الإقتصادية.
- ثالثا: الأوضاع الإجتماعية.
- رابــعا: الأوضـاع الديـنية.

الفصل التّمهيدي: الأوضاع العامة في افريقية زمن أسد بن الفرات

(140 – 213هـ / 757 – 830م)

يعتبر الإنسان ابن بيئته يؤثّر فيها ويتأثر بها، ومن هنا وجب علينا إلقاء نظرة على الأوضاع السياسية والإجتماعية والدّينية والإقتصادية التي عاصرها أسد بن الفرات، من أجل الوقوف على تأثّره وتأثيره وتفاعله مع مجتمعه، وليس هدفنا هنا شرح تفاصيل الأوضاع العامة في افريقية خلال حقبة الدّراسة، وإنّما التّذكير فقط ببعض الحقائق، إذ لا يمكن أن تكون دراسة شخصية أسد بن الفرات بمنأى عن الأوضاع العامة.

أوّلاً : الأوضاع السّياسية :

قامت في المغرب دويلات إسلامية ضمّت مختلف المذاهب، وكان مذهب الخوارج[1]خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري أكثر المذاهب انتشاراً بين قبائل البربر، فقد ظهر الخوارج الصّفرية[2] في المغرب الأقصى والإباضية[3]في المغرب الأدنى والأوسط وأخضعوا أجزاءاً واسعة لنفوذهم[4]، ولكن سرعان ما تمكّنت الجيوش العباسية من استرجاع افريقية[5] بعد معارك عنيفة ضد الخوارج.

---

(1) الخوارج: إسم يطلق على تلك الطّائفة ذات الإتجاه السياسي والآراء الخاصة، والتي خرجت عن جيش الإمام علي ﷺ والتحموا معه في معركة النّهروان الشهيرة. انظر: أحمد الحصين، موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب، دار عالم الكتب، السعودية، ط3، 2007،

(2) الصفرية: فرقة من فرق الخوارج وهم أتباع عبدالله بن الصفار ونسبوا إليه، وقيل لزياد بن الأصفر، وقيل سمّوا بذلك لصفرة وجوههم من كثرة العبادة وهذا ضعيف. انظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تق: إبراهيم بحاز و محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1986، ص94. الشهرستاني، الملل والنّحل، تق: أحمد فهيمي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3 ، 1992، ج1، ص134.

(3) الإباضية: تُنسب إلى عبدالله بن اباض، وهو عبدالله بن إباض المقعاسي المري التميمي من بني مرّة، كان معاصراً لمعاوية بن أبي سفيان، وعاش أواخر أيام عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي الذي كان على علاقة ودّية معه. انظر: البغدادي عبدالقاهر بن طاهر: الفرق بين الفرق، دار صادر، لبنان، (د تا)، ص61. علي مصطفى الغرابي، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2 ،1985، ص271.

(4) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009، ص44 ص45.

(5) افريقية: بكسر الهمزة، بمدلولها التاريخي هي تونس، واختلفت الأقوال في أصل تسميتها بهذا الإسم فقيل أنها سميت نسبة لأفريقش بن أبرهة بن الرائش الذي غزا المغرب وبنى افريقية. وقيل لأنها فرقت بين المشرق والمغرب، وقيل سميت باسم أهلها وهم الأفارقة. انظر: البكري، المسالك والممالك، تق: أدريان فان ليوفن و أندري فري، تر: سعد غراب، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1992، ص671. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977 ، ج1، ص 228. ابن ابي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1869، ص16.

ولم تكن الأوضاع السياسية في افريقية خلال عهد الولاة العباسيين على أحسن حال، فقد شهدت قيام العديد من الثّورات، منها ثورة الجند التي قامتضدّ محمد بن الأشعث سنة 148هـ/765م[1]، فكانت سبباً في عزله عن ولاية افريقية، ووُلّيها بعده الأغلب بن سالم التّميمي 148هـ-150، ثم عمر بن حفص 152هـ. ثم صارت تحت حكم ولاة من بني المهلب[2].

عادت افريقية بعد نهاية حكم المهالبة إلى التّبعية المباشرة لدولة الخلافة العباسية وتوالى عليها ولاة بغداد، ولكن سادتها الفوضى إذ اشتدّ تنافس زعماء العرب في البلاد في سبيل الوصول إلى السّلطان[3]، ومع تولي محمد بن مقاتل العكي ولاية افريقية في سنة 181هـ/ 797م ثار عليه الجند، ولكن إبراهيم بن الأغلب والي إقليمالزاب أسرع إلى نجدته، وقضى على جموع الثّائرين فعيّنه الرّشيد على هذه الولاية[4]. فكانت ولايته بداية عهد جديد بالنسبة لافريقية إذ توارث أبناءه الحكم من بعده وأسّسوا دولة جديدة في المغرب تدين بالولاء للخلافة شكلاً، وتتمتع بالإستقلال عن بغداد فعلاً[5].

يُعدّ إبراهيم بن الأغلب مؤسّس دولة الأغالبة التي تبتدئ سنة 184هـ وتنتهي سنة 296هـ[6]، وبعد وفاته تسلّم ابنه أبو العباس الإمارة وكانت فترة ولايته قصيرة، وتوفي في ذي الحجة عام 201هـ/816م[7]، وخلفه أخوه زيادة الله الذي حصلت في عهده عدّة ثورات منها ثورة زياد بن سهل،

(1) سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص82.

(2) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1، 1994، ص 12

(3) ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تق: محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988، ص17.

(4) حسن علي حسن، المغرب الإسلامي 122 – 923هـ، سفير للطباعة والنشر، مصر، 1996، ص31 .

(5) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية الإستقلال، دار المعارف، مصر، 1992، ج1، ص396.

(6) ابن خلدون، رحلة ابن خلدون 1352 – 1401م، تق: محمد بن تاويتالطنجي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط1 ، 2003 ، ص202 .

(7) محمود إسماعيل، الأغالبة 184 – 296هـ سياستهم الخارجية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر،ط3، 2000،ص32.

وثورة عمرو بن معاوية سنة 208هـ/823م، ولعل أخطرها ثورة منصور الطّنبذي سنة209هـ/824م[1]، لكنه تمكّن من القّضاء على هذه الثورات وإخمادها[2]. فتمتّعت البلاد في عهده بالرّخاء والإزدهار، ووجّه كفاءته الحربية في العناية بالأسطول الإسلامي، ثم توجيهه لغزو الجزر القريبة من تونس، وإليه يرجع الفضل في إعداد حملة بحرية كبيرة بقيادة أسد بن الفرات لغزو صقلية، وتوفي زيادة الله سنة 223هـ / 837م[3].

انطلاقاً ممّا سبق يمكننا أن نشير إلى أنّ الأوضاع السياسية خلال فترة الدّراسة كانت مليئة بالإضطرابات والثّورات، وتخلّلتها بعض الفترات من الإستقرار خاصة خلال حكم الأغالبة.

ثانيا: الأوضاع الإقتصادية :

بالنّسبة للأوضاع الإقتصادية في افريقية خلال حقبة الدّراسة فيمكننا القول أنّ افريقية عرفت ازدهاراً في النّشاط الإقتصادي، خاصة في عهدالدولة الأغلبية، وشمل هذا النّشاط الزّراعة والصّناعة والتّجارة، ونتج عنه نوع من الإستقرار في الأوضاع المعيشية للسّكان رغم القلاقل والثّورات التي مرّت بها، وعلى الرّغم من الإنشغالات السياسية لحكامها إلّا أنّهم بذلوا جهوداً كبيرة للعناية بتلك النّواحي، وتجدر الإشارة إلى أنه قبل الأغالبة لم تكن هناك شخصية واضحة لإفريقية، وكانت مدنها قرى كبيرة ومحطّات للقوافل بما في ذلك القيروان، والمدينة الوحيدة التي كان لها طابع مدينة هناك كانت تونس التي كان فيها مبان ودار صناعة وأسواق[4].

وقد دفع الإستقرار السّياسي والإجتماعي سكان افريقية إلى مزاولة الزّراعة والإهتمام بمتطلّباتها، فظهرت المناطق الزّراعية، فقد أبدى اليعقوبي دهشته لمظهر الخضرة وكثرة الأشجار في هذه المناطق

(1) كان منصور الطّنبذي من قادة العرب المعروفين في افريقية وتعدّ ثورته أخطروأعنف ثورات الجند التي شهدتها الدّولة الأغلبية وكادت تودي بالدولة.انظر: سيف الدين الكاتب، أعلام من المغرب والأندلس، مؤسسة عزّ الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1982، ص33.

(2) سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص86 ص87.

(3) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص33.

(4) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص108 .

،وهكذا أصبحت الزّراعة من الضّروريات التي تتطلّبها الحياة الإقتصادية في افريقية[1].

أما الصّناعة فقد بسطت إمارة الأغالبة سيطرتها عليها، ومنها صناعة السّفن في تونس، وصناعة الآلات الحديدية اللّازمة لصناعة السّفن، وكانت هناك دار لتصليح السّفن في سوسة وكانت مرفأ لرسو المراكب والسّفن الحربية والتّجارية للتأكّد من صلاحيتها لركوب البحر. بالإضافة إلى صناعات أخرى كصناعة السّيوف والآلات وأبواب الدّور والحصون والمحارس وغيرها من الصّناعات[2].

وشكّلت التّجارة أساس النّشاط الإقتصادي في افريقية، فقد كانت القيروان مركزاً للتّجارة العالمية، ونقطة لقاء بين المغرب والمشرق الإسلاميين من جهة، وبين التّجارة المتوسّطية وقوافل التّجارة الصّحراوية من جهة أخرى، حيث استقبلت قوافل التّجارة من سائر أنحاء المغرب فضلاً عن بلاد المشرق الإسلامي وبلاد السّودان، ولم تكن العلاقات السّياسية غير الودّية بين هذه الدّول والإمارات لتحول دون توطيد صلاتها التّجارية، فمن جهة ترتبط القيروان بخطّ سير القوافل الخارجة من تاهرت إلى القيروان، كما يربطها خط آخر يخرج من سجلماسة[3] إلى تاهرت ثم إلى القيروان[4].

ثالثاً: الأوضاع الإجتماعية :

ممّا لا شكّ فيه أنّ الحالة الإجتماعية لأيّ عصر، إنّما هي انطباع وأثر للحالة السياسية لذات العصر من اضطراب واستقرار، فالحياة الإجتماعية إفراز طبيعي للحياة السياسية، وهذه الحياة تتأثر بالجانب السياسي أيّما تأثر، وقبل أن نعرض للحياة الإجتماعية خلال حقبة الدّراسة، نلمح بإشارة عابرة إلى أنّ مجتمع المغرب الإسلامي من أكثر المجتمعات تنوّعاً من حيث السكان، وخاصة افريقية حيث ضمّت عدّة أصناف وهم :

(1) سوادى عبد محمد وصالح عمّار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، ط1، 2004. ص236.

(2) نفسه، ص237.

(3) سجلماسة : عاصمة دولة بني مدرار الصفرية، بُنيت سنة 140هـ . انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص85.

(4) سوادى عبد محمد و صالح عمار الحاج، نفسه، ص241.

أ – العرب :

ينقسمون إلى فريقين : الأول وهو أكثرية سكان العرب من أعقاب العرب الفاتحين للمغرب واستوطنوا هذه البلاد، وأصبحوا بمرور الزّمن عرباً أفارقة أو عرباً بلديّين، وانضمّ إلى هذا الفريق جماعات العرب الذين وفدوا من المشرق في العصرين الأموي والعباسي واستقرّوا في افريقية، والفريق الثاني من العرب الوافدين على المغرب في العصر العباسي في الجيوش التي كان يبعثها الخلفاء العباسيين[1].

ب – العجم :

وهم الفرس الذين وفدوا من المشرق الإسلامي مع الجيوش العباسية، ومنهم الخراسانيون الذين كانوا يؤلفون معظم أجناد العباسيين في افريقية، وهناك غير العجم الفرس عجم البلد، وهم الرّوم أو الأفارقة الذين ظلّوا يحتفظون بالدّين المسيحي[2]. وهاتان الطائفتان بالإضافة إلى البربر كانت تعمّر المغرب زمان الفتح، وأما الرّوم فالمراد بهم البيزنطيون الذين وجدهم العرب في البلاد إذ ذاك[3].

ج – البربر:

يعرفون بهذا الإسم منذ أقدم العصور، وهو لفظ إغريقي كان اليونان يطلقونه على كل من لا يتكلم الإغريقية، ويَنسب العرب البربر لمهاجر عربي يسمى بر بن قيس[4] ويرجعونهم إلى أصول كنعانية أو حميرية. وأما النّسّابة البربر فأغلبهم يوصلون القبائل البربرية بأصول عربية[5]. ويقوم التّنظيم الإجتماعي

(1) عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1999، ص329.

(2) نفسه، ص329. محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط1،1988، ص168.

(3) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدّينية، مصر، (د تا)، ص4.

(4) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد للنشر والتوزيع، مصر، ط1،2015، ص28.

(5) عبد الواحد ذنون طه، الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004، ص45 ص46.

لشعب البربر يقوم على أساس قبلي فالبربر قسمان : برانس، وبتر، ومنهما يتفرّع البربر إلى عدّة قبائل رئيسية[1]. وقد شَكّل البربر الغالبية العُظمى من السّكان في افريقية [2].

د –الأفارقة :

مع أن هذه التّسمية نسبةً لافريقية، إلّا أنه يُفهم أن الأفارقة يختلفون عن البربر وعن الرّوم، وعلى ذلك يمكن أن يكون الأفارقة هم أهل البلاد الذين اختلطوا بالرّوم وهم من بقايا الفينيقيين واللّاتين[3].

هـ – العبيد :

يُشكّل العبيد السّود الذين جُلبوا من بلاد السّودان فئة طارئة على المجتمع وقد اتّخذ أمراء الأغالبة بعضهم حرساً لهم أو جندا كما أنّ هناك العبيد البيض وهم الصّقالبة الذين حُملوا من جزر إيطالية، وقد سمّي هؤلاء بالفتيان ولعبوا دوراً مهمّاً في امارة الأغالبة من النّاحيتين الإجتماعية والإقتصادية[4].

كما ضمّ المجتمع الافريقي عدّة فئات منها فئة الحكّام والخواص من الولّاة، وكبار رجال الدولة وقادة الجيش والحرس الخاص الذي اتّخذه الأمراء، وكذلك أنصار النّظام السّياسي الحاكم المتمثّل في التميميين أيام الأغالبة. وفئة التجّار التي كان لها دور كبير في الحياة الإقتصادية في القيروان. وفئة المثقّفين وخاصة الفقهاء الذين كان لهم نفوذ قوي في حياة الشّعب والحُكّام وتأثير قوي في الحياة السياسية. بالإضافة إلى الطّبقة الشّعبية التي تتألّف من الجنود النّظاميين أو المتطوّعين المحترفين ومنهم

(1) علي محمود عبد اللطيف الجندي، رسالة ماجستير مقدمة بعنوان " البربر في افريقية في العصر الأموي 40-132هـ / 660. - 751م "، إشراف: حسين يوسف دويدار، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، مصر، (د تا)، ص149.

(2) لمياء أحمد شافعي، المغرب الأدنى في عهد ولاة بني العباس حتى قيام الأغالبة من سنة 132 هـ إلى سنة 184هـ/ 750 – 800 م، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: محمد زيتون، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدّراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1410هـ، ص298.

(3) محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، العراق، ط7، 1984 ، ج1، ص19 ص20.

(4) سوادى عبد محمد و صالح عمّار الحاج، المرجع السابق، ص234 ص235.

الحرفيون، والفلّاحون [1]. وفئة العامّة وهي الفئة الأكثر عدداً في مجموع السّكان، وهي تتألف من عناصر العبيد والنّازحين من الرّيف كما ضمّت إليها عدداً من النّخبة المثقفة وهذه الفئة قد نالها في عهد الأغالبة من البؤس والحرمان ما جعلها وراء أغلب الإنتفاضات المختلفة في القيروان [2].

ممّا سبق نستنتج أنّ افريقية قد نشأ بها مجتمع عماده الفقهاء والقُضاة وأهل الزّهد والورع والتّجّار ونفر من المياسير وأهل الصّناعة، وكانت فئة التّجار فئة بارزة في المجتمع، ويلاحظ أنّ عدداً من علماء القيروان كانوا من هذه الفئة إذ اشتغلوا في ميدان التّجارة، أمّا فئة العلماء فقد تعرّض عدد كبير منهم إلى الإضطهاد نتيجة لمواقفهم في مسائل تتّصل بالدّين والحياة العامة، وفئة العبيد كانت قد شكّلت الدّعامة الأساسية لإمارة الأغالبة حيث يبرز دورها في الحياة الإقتصادية [3].

رابعاً : الأوضاع الدّينية :

عرفت افريقية تنوّعاً كبيراً في الحياة المذهبية، حيث ظهرت فيها عدّة مذاهب على غرار مذهب الإمام مالك، والمذهب الحنفي، والمذاهب الخارجية كالإباضية، وكان لطبيعة المنطقة وسكانها دورٌ في انتشار هذه المذاهب في بلاد المغرب الإسلامي بالإضافة لعوامل أخرى.

أ–المذهب الحنفي :

يُعتبر المذهب الحنفي [4] أسبق المذاهب في الدّخول إلى القيروان بعد أن كان مذهب السّلف [5] هو السّائد، وأصبح المذهب الحنفي الغالب على أهلها قبل دخول المذهب المالكي، باعتباره مذهب

(1) محمد زيتون، المرجع السابق، ص170 ص171.

(2) سوادى عبد محمد و صالح عمّار الحاج، المرجع السابق، ص235.

(3) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، المرجع السّابق، ص112 ص114 .سوادى عبد محمد وصالح عمّار الحاج، نفسه، ص235.

(4) المذهب الحنفي: ينسب المذهب الحنفي إلى الإمام ابي حنيفة النعمان بن ثابت 80هـ – 150هـ / 700 – 760م، ولد بالكوفة وبها ترعرع وتعلّم، عُرِفَ عنه اجتهاده في الفقه، لذلك عُرف هو وأتباعه بأصحاب الرأي، كما استعملوا القياس في غياب النصوص. انظر: محمد ابو زهرة، أبو حنيفة حياته وعصره، آراءه وفقهه، دار الفكر العربي، بيروت، ط2،1955، ص22.

(5) مذهب السّلف : كان الفقهاء في القرن الأول الهجري يعتمدون على اجتهادات الصّحابة والتّابعين، إلى جانب الكتاب والسّنّة اللّذَين توزّعوا في أطراف البلاد الإسلامية وتمركزوا لاسيما في المدينة المنورة والشّام والعراق ومصر، وهم الذين نقلوا عن الرّسول صلى الله عليه وسلّم وعن الخلفاء الرّاشدين ونَقَلَ عنهم التّابعون، وهذا قبل أن تظهر الإختلافات التي أدّت لقيام المدارس والمذاهب الفقهية ويَظهَر الأئمة المجتهدون. انظر: إسماعيل ساهي، رسالة ماجستير بعنوان: دور المذهب الحنفي في الحياة الإجتماعية والثّقافية بالمغرب الإسلامي، جامعة الجزائر، الجزائر، 1995، ص106.

الدّولة الرّسمي، ثمّ ضَعُف عندما أقبل النّاس على مذهب مالك. وأوّل من أدخل مذهب أبي حنيفة إلى القيروان عبد الله بن فروخ (115 – 176هـ / 733 – 792م) [1]، الذي دَوّنَ عن أبي حنيفة نحو عشرة آلاف مسألة قبل أن يُصنّف أبو حنيفة كُتُبه، ودخل بها القيروان، وسمعها منه الناس [2].

وقد ساعد على انتشار هذا المذهب أنّ أمراء بني الأغلب تبنّوه بالرّغم من أنّ سياستهم تقوم على تبنّي كل المذاهب الفكرية وتشجيعها [3]، وقد كان للمذهب الحنفي مكانة خاصة عندهم ولقي انتشاره تشجيعاً منهم، بل يمكن القول أنهم هم الذين أرسوا قواعده في افريقية [4].

ب – المذهب المالكي :

هناك اختلاف بين المؤرخين والباحثين حول تاريخ الإنتقال إلى المذاهب الشّخصية في افريقية، ولكنّ أغلبهم يتّفقون على أنّ هذا التّحوّل كان بدخول مذهب مالك وعلمه إلى افريقية على يد علي بن زياد، فهو أوّل من أدخل الموطّأ [5] وجامع سفيان الثوري [6] المغرب، والرّاجح أنّ ذلك كان بعد سنة 144هـ/ 761م بقليل [7].

---

(1) عبدالله بن فروخ : من فقهاء القيروان، ولد سنة 110هـ، جمع بين العلم والورع والقيام بالحق، رحل للمشرق ولقي أعلاماً كمالك بن أنس وأبي حنيفة والثوري وزكرياء بن أبي زائدة وغيرهم، رجع إلى القيروان وانتفع به الكثير من الناس، تولى قضاء القيروان مكرهاً ثم أعفي منه وشاوره القاضي ابن غانم وامتنع، روى عنه يحي بن سلام، وحيي أخو سحنون وغيرهم، توفي في مصر سنة 176هـ. انظر: محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تق: عبدالمجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، ج1، ص91.

(2) الحسين بن محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدّار العالمية للكتاب الإسلامي، السعودية، ط1، 1990، ج 1، ص92.

(3) عبد العزيز المجدوب، الصّراع المذهبي بافريقية إلى قيام الدولة الزيرية ، الدّار التّونسيّة للنّشر والتّوزيع، تونس ، 1975 ، ص 65 .

(4) M. Vonderheyden , LA Berberie Orientale sous la dynastie des BenoulAghlab (800-909), Librairie orientaliste, Paris , 1927, P140 .

(5) الموطّأ : يُعدّ هذا الكتاب الذي كتبه الإمام أوّل كتاب مدوّن، قد جمعت فيه روايات من السّنّة، وذلك لأنّ الناس قبله كانوا يعتمدون على ذاكرتهم، لأنّ كثيرين من الرّوّاة كانوا يجهلون الكتابة والتّدوين. والموطّأ كتاب حديث وفقه، ذُكِرت فيه الأحاديث في الموضوع الفقهي المجتَهد فيه، ثمّ عمل أهل المدينة المجمع عليه، وأحاديث الموطّأ اختلف مقدارها باختلاف رواته، والسّبب في ذلك أنّه كان دائم التّنقّح مما رواه، فكان يحذف مما روى وقتاً بعد آخر، وقد رُوي بعدّة روايات، وأشهر الرّوايات له روايتان: إحداهما رواية يحيى بن يحيى اللّيثي الأندلسي ت 234، والأخرى رواية الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة. انظر: محمد بو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2009، ص404 .

(6) جامع سفيان الثوري : كتاب في الفقه مثل الموطّأ ألفه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ت161 هـ / 777م، وهو مُحدّث مصري. انظر: الزّركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط7، 1986، ج3، ص104.

(7) محمد حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤوون الدينية، المغرب، 2000، ص32 ص35.

والواقع أنّ مذهب مالك ساد بلاد المغرب الإسلامي وخاصة افريقية، عن طريق تلامذة الإمام مالك الذين هاجروا إليه لطلب العلم، فكان إقبال أهل افريقية والمغرب على هذا المذهب كبيراً ممّا أدى لانتشاره وظهوره على المذاهب الأخرى.

ونشير في هذا الصّدد إلى بعض العوامل التي كانت وراء انتشار المذهب المالكي في افريقية، وأهمّها الرّحلة في طلب العلم، وكانت معظمها إلى الحجاز، وهذا الميل إلى الحجاز يُفسّره ابن خلدون بكون البداوة كانت غالبة عليهم، والحجاز أنسب لبداوتهم، فأخذوا الكثير عن شيوخها وفقهائها [1]. بالإضافة إلى شخصية مالك بن أنس نفسه بما عُرف عنه من كريم السّجايا والخصال الحميدة، والتّعلق الشّديد بالسُّنة والأثر، ممّا دفع المغاربة إلى الوُفود عليه و الإنقياد لمذهبه، والإقتناع بأنه أَوْلَى بالإقتداء والإتّباع[2]. وعامل آخر هو ملاءمة مذهبه لطبيعة المغاربة، ذلك أنّ المذهب المالكي مذهب عملي يعتدّ بالواقع، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم [3].

يتبيّن ممّا سبق أنّ المذهبين المالكي والحنفي قد قُدّر لهما الظّهور على بقية المذاهب في افريقية، خاصة في العهد الأغلبي الذي يعتبر العصر الذّهبي للفكر السنّي. وأصبحت القيروان في عهد الأغالبة أجلّ مدن المغرب الإسلامي وأعلاها شأناً ومنزلة، وهذا بفضل علمائها الأجلاء وفقهائها الذين عملوا على نشر مذهب أهل السنة والجماعة.

(1) محمد عليلي، " الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرّستميين خلال القرنين 2 – 3هـ / 8 – 9م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، إشراف: معروف بلحاج، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر 2007 – 2008 / 1428 – 1429هـ، ص61.

(2) بهرام بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عمر الدّميري المالكي، الشّامل في فروع المالكية، تحقيق: حامد عبدالله المحلاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017 ،ج1 ، ص5.

(3) عمر الجيدي، نظرات في تاريخ المذهب المالكي : اسباب انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، مجلة دعوة الحق، المغرب، العدد 223، جويلية 1982، ص168.

ج– المذهب الإباضي :

ظهرت في افريقية إلى جانب المذاهب السّنية مذاهب خارجية مثل المذهب الإباضي، ولكن بقائه فيها لم يدم طويلاً فانحصر بالمغرب الأوسط، وقد ساهم ممثّلوا هذا المذهب والذين عُرفوا بحملة العلم [1] في نشره بين قبائل البربر، فعقدوا العزم على إعلان إمامة الظّهور سنة 140هـ/ 757م [2] ليتمكّنوا فيما بعد من إقامة دولتهم في مدينة تاهرت [3] عام 160هـ/ 777م بزعامة عبدالرحمن بن رستم [4] بعد فشلهم في إقامتها في افريقية. وفي عهد الأغالبة رَكَنَ كلا المذهبين المالكي والإباضي إلى ما يمكن تسميته بتعايش الأمر الواقع وهذا راجع لكون المذهب الإباضي أقرب الفرق الدّينية للمذاهب الفقهية السّنيّة وأكثرها اعتدالاً [5].

(1) يُعرفون عند الإباضية بهذا الإسم، ولما همّو بالرّحيل والعودة إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي، اقترح عليهم شيخهم أبو عبيدة أن يعقدوا إمامة الإباضية لأبي الخطّاب وكان كما اقترح إذ بويع أبو الخطاب بالإمامة سنة 140هـ، فدخل القيروان في نفس العام وعيّن عليها عبد الرحمن بن رستم والياً. انظر: ابن الصّغير، المصدر السابق، ص27.

(2) محمود إسماعيل عبد الرّزّاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1985، ص55.

(3) تاهرت : تيهرت أو تاهرت كما يسميها المؤرخون تقع في المغرب الأوسط، وقد اختُلف في تاريخ بناءها، فقيل سنة 144هـ وقيل 155هـ وبداية 156هـ، وهي عاصمة الدّولة الرستمية في المغرب الأوسط. انظر: محمد بوركبة، الجزائر الإجتماعية في عهد الدولة الرستمية، دار الكفاية، الجزائر، (د تا)، ص69.

(4) عبد الرحمن بن رستم : بن بهرام الفارسي، ذكر بعض الكتاب أنّ نسبه يرجع إلى ملوك الفرس القدماء، ترقّى عبدالرحمن بن رستم في القيروان وأخذ العلم عن فقهائها، ومال إلى تعاليم الخوارج حيث تأثر بسلامة بن سعيد الذي كان يدعوا الى مذهب الخوارج الإباضية. انظر: الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص12. الدّرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، 1974، ج1، ص19.

(5) يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في افريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري 90 – 450 هـ، السعودية، 2000، ج1، ص48 ص49.

الفصل الأول :أسد بن الفرات وحياته العلمية

المبحث الأول : مولـده ونسبه.

المبحث الثاني : رحلته في طلب العلم.

المبحث الثالث : أبرز مشايخه وتلامذته.

المبحث الرابع : آثاره وفضله ومكانته العلمية.

الفـصل الأول : أسـد بـن الفـرات وحـياته العـلمية

المبحث الأول : مولده ونسبه (142 هـ– 213 هـ)

أبو عبدالله أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم [1]، أصله من أبناء جند خراسان من نيسابور[2][3].

ولد عام 142هـ/ 759م [4] في حرّان[5]من ديار بكر، ورحل والده إلى القيروان في جيش محمد بن الأشعث سنة 144هـ / 761م وهو ابن عامين، فأقام بها خمس سنين ثم رحل إلى تونس واستقرّ بها تسع سنين فحفظ القرآن وقام بتعليمه في قرية على وادي بجردة[6]. ثم اختلف إلى علي بن زياد[7] بتونس، فلزمه وتعلّم منه وتفقّه به[8]. ويُعدّ أسد من الطّبقة الوسطى في افريقية، ومن أقواله « أنا أسد، والأسد خير الوحوش، وأبي الفرات، والفرات خير الماء، وجدّي سنان والسّنان خير السّلاح »[9].ويُروى

(1) بني سليم: بنو سُلَيم بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قَيس عَيْلان ابن مُضَر بن نِزار بن مَعدّ بن عدنان، قبيلة عظيمة من قيس عيلان العدنانية، وكان لسليم من الولد بهتة ومنه جميع أولاده، كانت منازلهم في غالية نجد بالقرب من خيبر، بإفريقية منهم حي عظيم، ومساكنهم ببرقة مما يلي المغرب ومما يلي مصر، انظر : ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تق : عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، (د تا)، ص481. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تق: علي الخاقاني، مطبعة النجاح، العراق، 1985، ص273 ص274.

(2) نيسابور: بفتح أوله، والعامة يسمونها نشاوور، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء، وتسمى أيضا سابور خواستوجنديسابور، فتحها المسلمون صُلحاً في أيام عثمان بن عفان ﷺ. ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج5، ص 331.

(3) أبي عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، المدونة الكبرى مع مقدمات ابن رشد، تق: زكرياءعميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ج1، ص 104 .

(4) وقيل سنة خمس وأربعين ومائة، وقيل سنة ثلاث وقيل سنة اثنتين وأربعين، والرّاجح أنه ولد عام مئة واثنين واربعين فقد قدم أبوه مع محمد بن الأشعث القيروان سنة مئة وأربع وأربعين وهو ابن عامين. انظر: ابراهيم بن نورالدين بن فرحون، الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب المالكي، تق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 306. ابو زيد عبدالرحمن محمد الأنصاري الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: أكمله وعلق عليه: أبوالفضلأبوالقاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تق: محمد الأحمدي ابو النور ومحمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1968، ج2،ص3 .

(5) حران: بالضّم وتخفيف الرّاء وبتشديد الرّاء أيضاً، وهي بلدة بين الرها والرقة من حوض الفرات على طريق النازحين من خراسان (إيران). وتقع حالياً جنوب تركيا وكانت تعدّ من مدن العراق في تلك الفترة .انظر: الدباغ، نفسه ص 3. الحموي، معجم البلدان، مج2، ص236 .

(6) عز الدين حسين الشيخ، الإمام محمد بن الحسن الشيباني محدثا وفقيهاً، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص34. محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص248 ص249.

(7) ترجمته ص28.

(8) ابن فرحون، نفسه، ص305 .

(9) نهاد عباس زينل و محمد بشير حسن راضي العامري، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطوّر الحضاري في أوروبا / القرون الوسطى 92 – 897هـ / 711 – 1492م، دار غيداء، الأردن، ط1 ،2016، ص333.

عنه أيضاً أنه قال « دخلت مع أبي القيروان في جيش ابن الأشعث، فأقمنا بها خمس سنين، ثم دخلت مع أبي إلى تونس، فأقمت بها نحواً من تسع سنين، فلمّا أنهيت ثماني عشرة سنة عُلّمت القرآن، ثم خرجت بعد ذلك إلى المشرق فوصلت إلى المدينة أطلب العلم، ثم خرجت إلى العراق، ثم انصرفت إلى القيروان سنة إحدى وثمانين ومائة »[1]. ويذكر القاضي عياض أن أسدا قال «رأت أمي كأنّ حشيشاً نبت على ظهري ترعاه البهائم، فعَبّرت رؤياها عند معبّر، فقال سوف يكون عند هذا الغلام علم يُحمل عنه »[2].

ولم يكن لأسد من الولد سوى ابنته أسماء، التي نشأت على يديه، فأحسن تهذيبها، وثقّف ذهنها علماً وحكمة، وكانت تحضر مجالسه العلمية في داره وتشارك في السؤال والمناظرة، حتى اشتهرت بالفضيلة، ورواية الحديث، والفقه[3].

(1) ابن الأبار، الحلة السيراء، تق: علي ابراهيم محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008، ص363.

(2) عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط2، 1983، ج3 ، ص292.

(3) محمد خير رمضان يوسف ، فقيهات عالمات، دار طويق للنشر والتّوزيع، (د.ب)، (د.تا)، ص18.

المبحث الثاني: رحلته في طلب العلم

من الواضح أنّ دراستنا لرحلة أسد بن الفرات في طلب العلم، لا يمكن أن تستكمل عناصرها ما لم نتطرّق إلى مفهوم الرّحلة العلمية وذكر فوائدها وفضلها، وفيما يلي عرض موجز لهذه العناصر.

أ) فضل الرّحلة العلمية :

تعدّ الرّحلة من مميزات جهود المسلمين في طلب العلم، وكان العلماء يحثّون الطلبة على القيام بها، وبما أنّ الحضارة الإسلامية قد امتدّت إلى شتى بقاع الأرض، فمن الطبيعي أن تكون الأسفار والرّحلات من أوّل السّبل لطلب العلم، ويُلحظ أنّ العامل الثّقافي مرتبط بالعامل الدّيني[1] فقد كان لموقف الإسلام من العلم والحثّ على طلبه أثر في اهتمام المسلمين بالرّحلات العلمية، فقد حثّ على العلم والسّعي في طلبه وتحصيله حتى رُوي عن الرّسول ﷺ أنه قال ((**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيْهِ عِلْماً سَهَّلَ الله بِهِ طَرِيْقاً إِلَى الجَنَّة، وإنّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَع، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَستَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السّمَوَاتِ ومَنْ فِي الأَرضْ حتَّى الحِيْتَان في المَاء، وفَضلُ العَلِم علَى العَابِد كَفَضْل القَمَر على سَائِر الكَواكِب، وإنّ العُلَماء وَرَثَة الأَنبيَاء، وإنَّ الأَنبِيَاء لَمْ يُوَرّثُوا دِيناراً ولَا دِرْهَماً وإنّما وَرّثوا العلم، فَمَن أَخَذَه أَخَذَ بِحظٍّ وَافرٍ**))[2].

والرّحلة لغة مصدر رَحَلَ يَرْحَلُ رحلةً، إذا سار وسافر، وهناك فرق بين الرِّحلة بالكسر والرُّحلة بالضّم. فالرِّحلة بالكسر الإرتحال بالمسير، ومنه قوله تعالى : ﴿ **رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْف** ﴾[3]، والرُّحلة بالضّم الوجه الذي يقصده، يُقال مكة رُحلتي: أي وجهي الذي أريد أن أرتحل إليه، وأما اصطلاحاً فإنّ الرّحلة مصطلح أدبي جغرافي يقصد به غالباً ذلك الخطاب الذي يتبع نشاط الرحالة وهو يجوب البلاد ويقطع المسافات إما عبرة واستبصاراً، أوطلباً للمعارف والعلوم، أو حجاً واعتماراً[4]. ونستنتج من هذا

(1) نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تقديم: صلاح جرار، دار المامون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008، ص33 ص34.

(2) رواه أبو داود والتّرمذي.

(3) سورة قريش، الآية3.

(4) خالد التوزاني، الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، دار السويدي للنشر والتّوزيع، بيروت، ط1،2017 ، ص49 ص50.

أن الرحلة العلمية هي السّفر أو الإنتقال من مكان إلى آخر للإلتقاء بكبار العلماء والمفكرين في مختلف الأمصار وأخذ العلم عنهم ومناقشتهم ومجالستهم.

ويُبيّن ابن خلدون فضائل وفوائد الرّحلة في طلب العلم في فصل مختصر أسوقه بنصّه وهو « أنّ الرّحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التّعلم. والسّبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقي أشدّ استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ».

ويضيف في نفس السّياق «...والإصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطّرق فيها من المعلمين، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الإصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل، وتنهض قواه إلى الرّسوخ والإستحكام في المَلَكات وتصحح معارفه وتميزها عن سواها، مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعدّدهم وتنوّعهم. وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية، فالرّحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء الشيوخ ومباشرة الرجال »[1].

ويفهم من هذا الكلام أنّ للرّحلة العلمية دور كبير في زيادة الرّصيد المعرفي لطالب العلم، وذلك بتعدّد الشّيوخ وبالتالي تعدّد منابع المعرفة وتعدّد الأفكار ووجهات النظر، وهذا ما يفسر إقدام العلماء على الرّحلة لطلب العلم. فقد كان الطلبة يرحلون لغرض الإستزادة في العلم في منطقة أخرى في مجالات مختلفة، ونجد في كتب الحديث والسِّير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القِفار ويعبر الأنهار طلباً لحديث نبوي سمع به، أو بمجرد التّحقق من كلمة فيه [2]، فاحتلّت الرّحلة العلمية بذلك أهمية كبيرة وشكّلت سمة بارزة في حياة المجتمع المغربي فهي مظهر من مظاهر التّواصل العلمي والفكري والثّقافي

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تق : ابو صهيب الكومي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2009، ص294.

(2) حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف: كفاية الله همداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، باكستان، 2013، ص16.

والإجتماعي، والمصادر المغربية والمشرقية تزخر بأخبار هذه الرّحلات، وأسماء العدد الكبير من الرّاحلين إلى المشرق، يطلبون العلم وجلّ أمنيتهم أن يجلسوا إلى عالم مشرقي مشهور يشرفون به بين بني قومهم[1].

ب) رحلة أسد بن الفرات في طلب العلم :

لم يقتصر أسد بن الفرات على طلب العلم في إفريقية، وإنّما رحل إلى العديد من المدن المعروفة بكثرة علمائها، فخرج إلى المشرق في سنة اثنتين وسبعين ومائة 172هـ، وقصد مالك بن أنس ولقيه في المدينة [2] فسمع منه ولزم محاضراته. قال أسد((لما خرجت إلى المشرق، وأتيت المدينة فقصدت مالكاً، وكان إذا أصبح خرج آذِنه فيدخل أهل المدينة، ثم أهل مصر، ثم عامة الناس، فكنت أدخل معهم، فرأى مالك رغبتي في العلم، فقال لآذنه. أَدخِل القروي مع المصريين، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قلت له: إنّ لي صاحبين وقد استوحشت أن أدخل قبلهما، فأمر بإدخالهما معي))[3].

ولما فرغ أسد من سماع مالك بن أنس قال ((زدني يا أبا عبدالله سماعاً منك، فقال له مالك: حسبك ما للناس. وكان مالك إذا سُئل عن مسألة كتبها أصحابه، فيصير لكل واحد منهم سماع، فرأى أسد أن الأمر يطول عليه وخاف من طول مقامه أن يفوته ما رغب فيه من لقاء الرّجال والرواية عنهم، فرحل إلى العراق. وسأل أسد مالكاً يوماً عن مسألة، فأجابه فيها، فزاد أسد في السّؤال، فأجابه،فزاد أسد في السؤال فأجابه، ثم زاد، فقال له مالك: حسبك يا مغربي! إن أحببت الرّأي فعليك بالعراق)).ويُذكر عن أسد أنه قال : ((لقد كان أصحاب مالك – ابن القاسم وغيره – يجعلونني أسأل

(1) نوال عبد الرحمن الشوابكة، المرجع السابق، ص40 .

(2) المدينة : سميت بعدّة أسماء منها المؤمنة، المقدسة، دار الأبرار ... ، وبلغ عدد أسمائها خمس وتسعين إسماً، وهذه الكثرة فيها تدلّ ولا شك على عظمة المسمى وفضله، وقد عناها رسول الله ﷺ عند خروجه مهاجراً من مكة إلى المدينة " اللهم إنّك أخرجتني من أَحبّ البقاع إليّ فأسكنّي في أحبّ البقاع إليك "، وكانت تسمّى يثرب نسبة إلى أول ساكنيها، وسميت المدينة المنورة في عهد رسول الله ﷺ .انظر: عبد السلام هاشم حافظ، المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، الوكالة العامة للتوزيع، سوريا، ط3، 1982، ص33.

(3) الدباغ، المصدر السابق، ص11.

مالكاً عن المسألة، فإذا سألته أجابني فيقولون لي: فلو كان كذا وكذا ؟ فأقول له، فضاق عليّ يوماً فقال لي : سلسلة بنت سلسلة : إذا كان كذا وكذا، كان كذا وكذا، إذا أردت هذا فعليك بالعراق »[1].

وعن أسد قال : « دخلت أنا وحارث بن أسد القفصي [2]وغالب بن مهدي [3] على مالك بن أنس لأودّعه، فتقدّم إليه صاحباي فقالا: أوصنا يرحمك الله، فأوصاهما، ثم قال لي: أوصيك بتقوى الله، والقرآن، والمناصحة لهذه الأمة، فلما خرجنا من عنده قال لي صاحباي: زادك والله علينا يا أبا عبدالله»[4].

قصد أسد بن الفرات العراق من أجل العلم مع أنه قد حصل على قدر كبير منه في المدينة بسماعه الموطّأ عن مالك، فكان له أثر في العراق، فقد لقي أبو يوسف وأصحاب أبي حنيفة النعمان في الكوفة [5]، ويُذكر أنّ أسداً أتى إلى أبي يوسف فوجده جالساً ومعه شاب يملي عليه مسألة فلمّا فرغ منها قال ليت شعري ما يقول فيها مالك؟ فقال أسد كذا وكذا.يقول أسد « فنظر إليّ فلمّا كان في اليوم الثاني دعاني وقال من أين أنت ومن أين أقبلت ؟ قال فأخبرته. قال وماتطلب ؟ قلت ما ينفعني الله به فعطف على الشّاب الجالس فقال ضمّه إليك لعلّ الله ينفعك به في الدّنيا والآخرة فخرجت معه إلى داره فإذا هو محمد بن الحسن فلزمته حتى كنت من المناظرين من أصحابه »[6].

(1) الدباغ، المصدر السابق، ص11.

(2) حارث بن أسد القفصي : فقيه وعالم من علماء المالكية من تلاميذ مالك بن أنس، لم يكتب له ذيوع الصيت لتقاصره عن مزاحمة تلاميذ مالك بسبب ما رواه هو نفسه حيث قال، لما أردنا وداع مالك دخلت عليه أنا وابن القاسم وابن وهب، فقال له ابن وهب أوصني فقال: اتق الله وانظر عمّن تنقل، وقال لابن القاسم: اتق الله وانشر ما سمعت، وقال لي: اتق الله وعليك بتلاوة القرآن. قال الحارث هذا: لم يرني مالك أهلاً للعلم، ولهذا كان يستفتى فلا يفتي معللا ذلك بقوله : لم يرني مالك أهلا للعلم. انظر: عبد الباسط قوادر، ابن راشد القفصي وآثاره العلمية، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2011، ص20 .

(3) غالب بن مهدي : لا تذكر المصادر التاريخية المتوفرة لدي ترجمة لغالب بن مهدي، ولكن يظهر من قول أسد بن الفرات أنه من أصحابه ومن تلامذة مالك بن أنس.

(4) ابو بكر محمد بن عبدالله المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهّادهم ونُسّاكهم وسِيَرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تق: بشير البكوش، مر: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1994، ج1، ص256.

(5) الكوفة: تقع في العراق، وكانت تعدّ من أغنى المراكز الثقافية أيام الدولة الأموية والدولة العباسية، ذلك نتيجة الإختلاط بين الأجناس العربية والفارسية والنبطية والسريانية، والتي بطبيعة الحال تحمل ثقافاتها المتميزة وعاداتها وتقاليدها وأدبها. انظر: أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط1، 2003، ص35.

(6) عياض، المدارك، المصدر السابق، ص293.

وكان أسد يجلس في حلقة محمد بن الحسن فلا يتّضح له شيئ مما يتكلّم به فقد كان الطّلبة عنده كُثر، وكان يدرس اللّيل والنّهار ولا ينفتح له شيئ، فشكا إلى ابن الحسن وقال « إنّي غريب طالب علم، وقد نفذت بضاعتي ولم ينفتح لي شيئ من العلم، فقال له : اقرأ عليّ وأنا أفتح لك وأبيّن لك أصول القوم، قال أسد « كنت أقرأ عليه ويبيّن لي، وكنت أتعاهده حتى انكشفت لي أصول القوم وظهرت لي مذاهبهم، فلمّا جلست بعد ذلك في حلقة ابن الحسن تكلّمت معهم وناظرتهم، فقال محمد لأصحابه : انفتح دماغ المغربي ! »[1].

وقال أسد « فبينما نحن مع محمد بن الحسن يوماً في الحلقة إذ أتاه رجل يتخطى الناس حتى سار إلى محمد بن الحسن، فسمعنا محمداً يقول " إنّا لله وإنّا إليه راجعون " مصيبة ما أعظمها! مات مالك بن أنس، مات أمير المؤمنين في الحديث " قال: ثم فشا الخبر في المسجد وناح الناس حزناً لموت مالك بن أنس وكان بعد موت مالك، إذا حدث عن مالك اجتمع إليه الناس وانسدّت عليه الطّريق رغبة في حديث مالك، وإذا حدّث عن غيره لم يَجئه إلا الخواص »[2].

انصرف أسد بن الفرات من العراق بعد أن أخذ علماً كثيراً عن الإمام محمد بن الحسن، وفي طريق عودته مرّ بالمدينة ليلتقي بأصحاب مالك لأنّ مالك قد مات، فلمّا سألهم لم يجد عندهم ما يطلبه فأشاروا عليه بالرّحيل إلى مصر[3] وبها كثير من أصحاب مالك، فأَحَبّ أسد أن يُحَصّل من أصحاب مالك ما فاته إدراكه منه عندما غادر المدينة إلى العراق، وكان له وجهة نظر في أن يمزج بين مذهب أهل العراق ومذهب أهل المدينة، أي أن يُدعّم الآراء بالأحاديث أو بأقوال صاحب مذهب الحديث [4].

(1) ابو بكر المالكي، المصدر السابق، ص257.

(2) الدباغ، المصدر السابق، ص7. أبو بكر المالكي، نفسه، ص257 ص 258.

(3) مصر : ساعد موقع مصر الجغرافي على توطيد علاقاتها مع افريقية، فهي تتوسط المشرق والمغرب الإسلامي، ولذلك فقد كانت مصر تعدّ الوجهة الثانية بعد المدينة المنورة من حيث كثرة التواصل، خاصة في عهد مالك وتلاميذه، أما بعد ذلك فقد زاد التّواصل متانة، وقد جمع هذا التواصل بين الأخذ والعطاء، ومن أوائل من دخل مصر من الأفارقة: خالد بن ابي عمران، وعبدالرحمن بن زياد، وعبيد الله بن زحر الكناني. انظر: كمال السيد ابو مصطفى، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1997، ص121. الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص328.

(4) الدباغ، نفسه، ص11.

لـمّا وصل أسد بن الفرات إلى مصر، اجتمع مع الفقيه عبدالله ابن وهب [1] فكان يسأله ويجيبه ابن وهب بالرّواية فأراد أن يُدخل عليه غير الرّواية فقال له ابن وهب "حسبك إذا أدينا إليك الرّواية، ثم أتى إلى ابن أشهب، فسأله فأجابه ابن أشهب، فقال له أسد " من يقول هذا، أمالك أم أبو حنيفة؟ "فقال بن أشهب : " هذا قولي، عافاك الله! " فقال له : " إنّما سألتك قول مالك وأبي حنيفة، فتقول هذا قولي؟ "، فتركه أسد وذهب إلى ابن القاسم فسأله عن مسألة فأجابه وانقطع أسد في السّؤال فقال له ابن القاسم : يا مغربي زد وقل لي من أين قلت حتى أبين لك قول مالك، فعند ذلك قام أسد على قدميه في المسجد فقال : "معاشر الناس إن كان مالك بن أنس قد مات فهذا مالك بن أنس، وكان يغدو إليه كل يوم يسأله وابن القاسم يجيبه حتّى دَوّن ستين كتاباً وسمّاها الأسدية [2].

ج) عودته إلى افريقية وتوليه القضاء :

يُعرّف القضاء بأنه الحكم بين الناس بالعدل وحلّ النّزاعات التي تقع بينهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية أو الإجتهاد الشّخصي، وتتمّ تولية القضاء وفقاً لشروط معينة لابد من توفّرها في القاضي،فقد كان الأغالبة يشترطون في تولية القضاء شروطاً معيّنة، وعلى القضاة أن يلتزموا بها، وهي أن يكون القاضي رجلاً عاقلاً، حراً، مسلماً، عدلاً، وأن يكون ملماً بكافة الأحكام الشّرعية أصولها وفروعها وهي معرفته بكتاب الله عزّ وجل وسنة رسول الله ﷺ، وتأويل السّلف والقياس، بالإضافة إلى العلم والورع والنّزاهة والعفّة والحِلم[3].

(1) عبد الله بن وهب : أبو محمد بن مسلم القرشي، الفهري، الأنصاري، من رواة المذهب المالكي وفقهاء مصر، روى عن مالك وعن المصريين والحجازيين والعراقيين.ولد سنة 125هـ، كان عازفا عن الدنيا وزخرفها، لا تتوق نفسه إلى المناصب والوظائف، يمنعه من ذلك ورعه وتقواه وخوفه من ربه، فقد طلب منه تولي القضاء فامتنع ورعاً وتقوى، ويذكر أصحاب التّراجم أن وفاته كانت بسبب خوفه الشّديد من الله عزّ وجل، فكان كلّما يسمع آية تذكّره بالعذاب يخرّ مغشياً عليه، فقد قرئ عليه كتابه في أهوال القيامة، فخرّ مغشياً عليه ولم يتكلّم حتى مات بعد أيام. انظر: خضير جاسم العزاوي، الإمام عبدالله بن وهب وآراؤه الفقهية في العبادات، دار الكتب العلمية، العراق، 2011، ص9 ص13.عياض، المصدر السابق، ص228 .

(2) الدباغ، المصدر السابق ، ص12. ابو بكر المالكي، المصدر السابق، ص261 .

(3) عبد الحميد حسين حمودة ، المرجع السابق، ص280 .

وتلك الشروط توفّرت في أسد بن الفرات ما جعل الأمير الأغلبي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب يوليه القضاء بعد عودته إلى افريقية شريكاً لأبي محرز الكناني [1]، فابتهج الكبير والصّغير بهذه الولاية، لِما لأسد من المنزلة العالية في الدّين والعلم وكان في تلك الأثناء الهدوء شاملاً لإفريقية، وكان أهلها في أيسر حال وأنعم بال [2].

ويذكر المالكي أنّ الوزير علي بن حميد[3] أشار على زيادة الله بتولية أسد القضاء، يقول المالكي «...ثم إنّ علي بن حميد سعى عند زيادة الله في صرف أبي محرز وتولية أسد وتلطّف به فأبى عليه، ووصف له أسداً، وذكر له فضله واشتهاره بالعلم، فولّاه مع أبي محرز وكانا يقضيان جميعا وذلك سنة أربع ومائتين، ولم يُعلَم بالقيروان قاضيان قبلهما في مصرٍ واحد يقضيان جميعاً، وكان كلّ منهما يقضي في موضعه من أراد أسداً من المتداعين حَكَمَ عنده ومن أراد أبا محرز حَكَمَ عنده، ومنع بعضهم الولاية على هذا لأنه يؤدّي إلى التّشاجر بين أهل البلد أن يدعو أحد الخصمين إلى قاضٍ والآخر إلى قاضٍ آخر "[4]» ، وكان أسد أغزر علماً وفقهاً، وأبو محرز أسَدُّ رأياً وأكثر صواباً، فأقام قاضياً حتى سنة 213هـ/ 828م[5].

(1) أبو محرز : محمد بن عبدالله بن قيس بن يسار بن مسلم الكناني القاضي، من المعدودين من أصحاب مالك، ولاه إبراهيم بن الأغلب القضاء مكرهاً، عرف بالورع والزّهد. أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ص264.

(2) عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، تق: أحمد بن ميلاد و محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، (د ب)، ط1، 1987، ط2، 1990، ص213.

(3) في الأصل علي بن جميلة.

(4) الدباغ، المصدر السابق، ص19. ابو العرب التميمي، طبقات علماء افريقية، تق: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، السعودية، ط1، 1984، ص235.

(5) عياض، المدارك، المصدر السابق، ص304.

المبحث الثالث : أبرز مشايخه وتلامذته

أ) مشايخه :

كان أسد بن الفرات شغوفاً بطلب العلم، حريصاً على لُقيّ الرجال والرّواية عنهم ولذلك كثُر عدد شيوخه كثرة ظاهرة [1]، فالتقى خلال رحلته بعدد كبير منهم، فسمع منهم وقرأ عليهم وروى عنهم، وتُعدّ الرّواية والسّماع [2] من أهم مصادر العلم، وهي الأخذ عن العلماء مباشرة بسؤالهم ومعرفة الأجوبة منهم وكتابتها. ومن أبرز شيوخ أسد بن الفرات :

علي بن زياد العبسي التونسي (ت 183هـ / 799م)

ولد بطرابلس ثم انتقل إلى تونس فسكنها، وكان فقيهاً ثقة [3]، كنيته أبو الحسن ثم لا شيئ يُذكر في بعد ذلك في أسماء آبائه وأجداده، ومن الإخباريّين من نَسَبَهُ إلى أصول أعجمية فارسيّة، ومنهم من أرجع نسبه إلى أجدام عربية صريحة. وبناءاً على القرائن المصدرية المتوفرة من تاريخ شيوخه وتلاميذه فإن مولده كان في السّنوات الأولى من العقد الأول من القرن الثاني الهجري في طرابلس [4].

تلقّى علي بن زياد أكثر علومه عن شيوخه المشارقة في مصر والحرمين الشريفين والعراق، المعدودين من الأئمة الأعلام، فأخذ العلم عن شيخه اللّيث بن سعد وهو إمام أهل مصر في العلم، كما أخذ عن شيخه أبي عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة قاضي مصر (97هـ - 174هـ) المعروف بأنه كان محدّث مصر، كما أخذ عن شيخه مالك أصول مذهبه وهي الأصول التي استنتجها بعد ذلك العلماء والباحثون، وسُمّيت عندهم خصائص المذهب المالكي، ويعدّ ابن زياد أول من أدخل جامع سفيان

(1) الحسين بن محمد شواط ، المرجع السابق، ص552.

(2) السّماع : هناك فرق بين السّماع والإستماع في المعنى وفي اللّفظ، فالسّمع يكون بقصد، والإستماع لا يكون إلا بالإصغاء. والسّماع هو النقل، ونقل المسموع من جيل إلى جيل يسمى رواية. انظر : حسن خميس الملخ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق، عمان، 2001، ص143.

(3) محمد بن أبي بكر العبسي، إتحاف السّالك برواة الموطّأ عن الإمام مالك، تق : نشأت بن كمال المصري ، المكتبة الإسلامية للنشر ، مصر، ط1، 2006، ص270.

(4) محمد مسعود جبران، علي بن زياد الطّرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني الهجري، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط1، 2010، ص56 ص71.

الثوري وعلمه إلى المغرب، كما أنه أول من أدخل موطّأ الإمام مالك و أسمِعته وفتَاويه إلى الغرب الإسلامي [1].

يُعدّ أسد بن الفرات من الفقهاء البارزين الذين تتلمذو على يد علي بن زياد فسمع منه مرتين في القيروان وتونس، وقد أقرّ أسد بن الفرات بالفضل لشيخه علي بن زياد في مواقف كثيرة، منها قوله: كان عليّ بن زياد من أصحاب مالك، روى عنه غيرُ واحدٍ "، كما كان مع هذا التّنويه بقيمته العلمية كثير التّوقير له، ومن أقواله في ذلك " إنّي لَأَدعو الله – عزّ وجل – لعليّ بن زياد مع والدَيّ، لأنّه أوّل من تعلّمت العلم عليه" [2].

الإمام مالك بن أنس ﷺ (93 – 179 هـ / 711 – 795 م)

شيخ الإسلام وإمام دار الهجرة ، ولد في المدينة المنورة سنة 93هـ الموافق لـ 712م، وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السّنّة، وإليه نسبة المالكية [3].

ومثل الإمام مالك لا يمكن لأحد أن يستقصي مناقبه، أو يستوعب سيرته، فقد كتبت الكثير من المؤلفات في ترجمته وسيرته وعلمه وفضله[4] فتواترت النّقول وتتابعت النّصوص عن الأئمة والعلماء في الثّناء عليه، والإعتراف بإمامته في الدّين والفقه والحديث، ومن ذلك قول الإمام الشّافعي :" إذا ذُكر العلماء فمالكٌ النّجم، ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك، لحفظه وإتقانه وصيانته، ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالكً "، وقول الإمام أحمد " مالك سيّد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه" [5]، وقول الزّبير بن بكار " حدثني عبدالله بن عمر بن القاسم، وجماعة سماهم، قالوا : كان جلساء مالك بن أنس كأنّ على رؤوسهم الطّير تسمتاً ووقاراً، وكان إذا سُئل عن المسألة، فقال فيها، لم

(1) محمد مسعود جبران، المرجع السّابق، ص81 ص90.

(2) نفسه، ص149.

(3) مالك بن أنس، مُوطّأ الإمام مالك برواية يحي بن يحي بن كثير اللّيثي الأندلسي القُرطبي، دار الأرقم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط1، 2007، ص5.

(4) يحي بن يحي اللّيثي الأندلسي، الموطّأ لإمام دار الهجرة 92 – 179هـ ، تق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1997، مج 1، ص5 ص6.

(5) وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، المذاهب الفقهية الأربعة أئمتها أطوارها أصولها آثارها، مر: أحمد الحجي الكردي وآخرين، الكويت، ط1، 2015، ص65 ص 66.

يجترئ أحد أن يسأله : من أين رأى ذلك؟ "[1]. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على فضل مالك بن أنس وعلمه ومكانته ومرتبته الرّفيعة، ولا شك أنّ تلامذته قد أخذو عنه هذه الصّفات اقتداءاً به.

بعد رحيل أسد بن الفرات إلى المشّرق في طلب العلم، قابل مالك بن أنس في الحجاز، الذي كان شيخاً شارَف على الثّمانين، تحيط به هالة من المجد العلمي، فأمضى ابن الفرات فترة من الزّمن غير قصيرة يجلس إلى مالك ويشهد حلقاته، ويكتب عنه، ويتحدّث إليه [2].

أبو عبدالله محمد بن الحسن (132 – 189هـ / 749 – 805م)

بن فرقد الشّيباني صاحب أبي حنيفة وإمام أهل الرّأي [3]، قال البغدادي في كتاب تاريخ بغداد أن أصله من قرية تسمّى حرستا، قدِم أبوه العراق فوُلد له محمد بـ واسط سنة 132هـ / 749م، كان أبوه من أهل الجزيرة من جند أهل الشّام وهو الرّاجح في تاريخ ميلاده، وُلد ونشأ بالكوفة مع والده وأخذ العلم عن علمائها، وذهب إلى المدينة فأخذ عن مالك بن أنس وروى عنه الموطّأ واستقرّ به المقام مع شيخه أبي حنيفة إذ توفي أبو حنيفة وعمر محمد نحو الثّمانية عشر عاماً [4].

يعتبر أسد بن الفرات من أبرز تلامذة محمد بن الحسن من أهل المغرب، وناشر مذهب أبي حنيفة ومالك في بلاد المغرب والأندلس حتى أصبح أكثرُ أهل افريقية على مذهب أبي حنيفة ومالك. ولما حضر عنده أول مرّة قال له: إنّي غريب قليل النّفقة والسّماعُ منك قليل والطّلبة عندك كُثُر، فقال له الإمام محمد: إسمع من العراقيين بالنّهار وقد جعلت اللّيل لك وحدك فتبيت عندي وأُسمعك، قال أسد « فكنت أبيت عنده وكنت معه في شقّته وكان يسكن الدُّور العلوي فينزل إلي ويجعل بين يديه قدحاً فيه ماء ثم يأخذ القراءة فإذا أطال عليه الليل ورآني نعست ملأ يده ونضح في وجهي الماء فأنتبه فكان ذلك دأبي ودأبه حتى أتيت على ما أريد من السّماع ». ولهذا يقول أسد بن الفرات « لا أعلم من أئمة العلم

(1) أبو مصعب الزّهري، الموطّأ للإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، تق: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، لبنان، ط1، 2016، ص30.

(2) شوقي أبوخليل، فتح صقلية بقيادة الفقيه المجاهد أسد بن الفرات، دار الفكر، سوريا، ط2،1998، ص67.

(3) عز الدين حسين الشيخ، المرجع السابق، ص10.

(4) محمد بن الحسن الشيباني، الإكتساب في الرزق المستطاب، تق: محمود عرنوس، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1986، ص6.

من كان يصبر صبر محمد بن الحسن الشّيباني في تعليم تلاميذه، ولا من يُؤْثر إيثاره في الإنفاق عليهم خلا أستاذه الأعظم أبي حنيفة النّعمان »[1].

وتذكر المصادر عدّة مواقف لأسد بن الفرات مع شيخه محمد بن الحسن، فيذكر القاضي عياض أن « أسداً لما أراد العودة إلى افريقية، لم يكن معه مال، فذكر ذلك لمحمد بن الحسن، فقال له أذكر شأنك لولي العهد، فلقيه ابن الحسن وذاكره أمره ثم قال لأسد : قف بالحاجب يوم كذا يُدخلك عليه، واعلم أنك حيث تُنزل نفسك أنزلوك.

فمضى أسد واستأذن، فأُذن له، فدخل حتى انتهى إلى موضع أُمر بالجلوس فيه، ومضى الخادم الذي أدخله فجاء بمائدة مغطاة بين يديه، فقال أسد ففكرت وقلت ما أرى هذا إلا منقصة، وقلت للخادم : هذا الذي جئتني به منك أو من مولاك؟، فقال : مولاي أمرني به، فقال أسد : مولاك يرضى بهذا ؟ يأكل ضيفه دونه ؟ يا غلام هذا بر منك وجبت مكافأتك عليه، وكانت في جيب أسد أربعون درهما لم يبق معه سواها فأعطاها للخادم وقال له ارفع مائدتك. ففعل وعرف مولاه فقال : حرّ والذي لا إله إلا هو، ثم قال الخادم : أدخل، فدخل أسد فجلس فكان ولي العهد يسأله وهو يجيبه، فلما قَرُب انصرافه كَتب رقعة وختمها وأعطاها لأسد وقال : قف بهذا إلى صاحب الديوان، وتعود إلي. فأخذ أسد الرقعة وحقرها، فلما لقي محمد بن الحسن أخبره فقال له أوصل السّاعة الرقعة، ففعل فدفع إليه صاحب الدّيوان عشرة آلاف درهم، فأعلم أسد شيخه بذلك فقال له : إن عدت إلى القوم صرت خادما لهم، وفيما أخذت عون لك »[2].

ويذكر عياض أيضاً عن أسد « أنّ محمد بن الحسن رغب إليه أن يرافقه إلى مكة، فكره أسد هذا، فقال له أصحابه : وددنا لو اشترينا هذا بعشرة آلاف درهم، فرافقه، فكان أسد يسأله عما يريد، وربما سأله وهو في الصلاة، فيجهر بالقراءة يُعلمه أنه يصلي، فيقول أسد : تشتغل عنّي بالصّلاة، وقد قطعت البلاد إليك ! فيقطع الصلاة ويجيبه ».[3]

(1) عز الدين حسين الشيخ، المرجع السّابق، ص35 .
(2) عياض، المدارك، المصدر السابق، ص294.
(3) نفسه، ص295 .

عبد الرحمن بن القاسم (132 – 191هـ / 750 – 806م)

أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري، وُلد سنة 132هـ / 749م وأصله من الشّام من فلسطين من مدينة الرملة وسكن مصر. وابتدأ في طلب العلم وهو كبير، فسمع من المصريين والشّاميين ثم مات أبوه فوَرَّثه مالَه، ورأى في المنام من يقول له : عليك بعالِم الآفاق، فأنفق ذاك المال في سفرته إلى مالك [1]. قال النسائي : ابن القاسم ثقة رجل صالح ... "، كما شهد يحيى بن يحيى الليثي أنه أعلم الناس بفقه مالك وأوثقهم به، وقد وصل ابن القاسم إلى درجة الإجتهاد المطلق[2]، حتى كان أسد بن الفرات يعرض عليه فروع الفقه الحنفي ويسأله الإجابة عليها بأقوال مالك فدوّن بذلك كتابه الأسدية [3] .

كان أسد بن الفرات محباً لشيخه ابن القاسم، فيُروى أنّ أسداً ضرب شيخاً من شيوخ إفريقية[4] معروفاً بالعلم ومعرفة الحديث لِما شهد عليه عنده في وقت ولايته القضاء أنه انتقص ابن القاسم، فضربه على ذلك ضرباً عظيماً، فهذا يدلّ على موالاته ومحبته فيه[5].

أشهب بن عبدالعزيز القيسي (140 – 204 هـ / 757 – 819 م)

الفقيه المالكي المصري ، تفقّه على الإمام مالك والفضيل بن عياض والليّث وغيرهم. وقال عنه الإمام الشافعي : "ما رأيت أفقه من أشهب " وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم، وانتهت إليه بمصر بعد ابن القاسم. وكان ثقة فيما روى عن مالك، وقال أبوعبدالله القضاعي في كتاب " خطط مصر " كان لأشهب رياسة في البلد، ومال جزيل، وكان من أَنظَرِ أصحاب مالك ﷺ، قال الشّافعي رحمه الله:

(1) ابن القابسي، الموطأ برواية أبي عبد الله عبدالرحمن بن القاسم العتقي، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2004، ص10.

(2) المجتهد المطْلق هو الذي توفّرت فيه شروط الإجتهاد فيتمسك بالدّليل حيث كان، فهذا القسم من المجتهدين هم الذين يُسوغ لهم اللإفتاء ويسوغ استفتاءهم ويتأدى لهم فرض الإجتهاد. انظر: امصنصف كريم، مذكرة في مبحث الإجتهاد، مر: عبدالسلام الحصين، كريسمناس 79 الخاصة والمحدودة للنشر الإلكتروني، السعودية، ط3، 2017، ص21.

(3) Muhammad Ali AS-Sayiss, History Of Islamic Jurisprodence,Tr :Rami Touqan, Dar al-Kotob Al-ilmiyah , Beirut , 2017 , P 243.

(4) هذا الشيخ هو عياض بن الوليد الفارسي كما هو مذكور في كتاب المدارك ج3، ص300.

(5) ابو بكر المالكي، المصدر السابق، ص264.

ما ناظرت أحداً من المصريين مثله لولا طيشٌ منه "، ولم يُدرك الشّافعي بمصر من أصحاب مالك سوى أشهب وابن عبد الحكم [1].

تتلمذ على يديه الكثير من العلماء، من بينهم أسد بن الفرات، فقد ذكرنا سابقاً أنّ أسدا أتى إلى ابن أشهب، فسأله فأجابه ابن أشهب، فقال له أسد : " من يقول هذا، أمالك أم أبو حنيفة؟" فقال أشهب : "هذا قولي، عافاك الله ! " فقال له: " إنّما سألتك قول مالك وأبي حنيفة، فتقول هذا قولي؟"[2]. وهذا يدلّ على أنّ أسد قد أخذ عن ابن أشهب، ولكن أسد تركه وقصد ابن القاسم للأخذ عنه، قال أسد « لما انصرفت من العراق إلى مصر قصدت أشهب، واعتمدت عليه، وكان في خُلُقه ضيق، وكان علمه خيراً من دينه، فذكر يوما أبا حنيفة فأزرى [3] عليه، ثم فعل بمالك مثل ذلك، فنهضت إليه : " يا أشهب!... " فأخذ الطّلبة بثوبي وأقعدوني، وقالوا لي : ما أردت أن تقول له ؟ قلت : أقول له إنّما مثلك ومثلهما مثل من بال بين بحرين، فرغا بوله، فقال : " هذا بحر ثالث "، قال أسد : فتركته وملت إلى ابن القاسم فحَبرَ بي، وكان أروع منه »[4].

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (113 – 182هـ / 738 – 798م)

صاحب أبي حنيفة النّعمان، الإمام المحدّث، وقاضي القضاة المولود سنة 113هـ/ 731م. أقوال الأئمة فيه كثيرة، منها قول أحمد بن حنبل" كان أبو يوسف أمثلهم في الحديث "، وقول يحي بن معين" ليس في أصحاب الرّأي أحد أكثر حديثاً ولا أثبت من أبي يوسف"[5]، وقد كان يحظى بإجلال كبير عند هارون الرّشيد. وكان إليه تولية القضاء من المشرق إلى المغرب في عهد الرّشيد،ويعدّ أبو يوسف

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزّمان، تق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978 ، ج1، ص238. ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص307.

(2) الدباغ، المصدر السابق، ص12.

(3) أزرى عليه بمعنى عابه وحقره واستصغره أو حطّ من قيمته.

(4) عياض، تراجم أغلبية، تق: محمد الطالبي، الجامعة التونسية، تونس، 1968،ص70.

(5) أبو يوسف يعقوب، كتاب الآثار، تق: سعود العثمان، دار الكتب للنشر والتوزيع، باكستان، 2013، ص11 ص12.

من المدوّنين لقواعد وفروع المذهب الحنفي الذي وضع أسسه أبو حنيفة. أخذ عنه بن حنبل ومحمد بن الحسن[1].

هشيم بن بشير (104 – 183هـ / 722 – 799م)

السّلمي الواسطي، محدّث بغداد، وُلد سنة 104هـ / 722م، روى عن الزّهري وطبقته، وكان عنده عشرون ألف حديث، قيل أنه أحفظ للحديث من سفيان الثوري، توفي سنة مئة وثلاث وثمانين[2]، وروى عنه أسد بن الفرات اثني عشر ألف حديث [3].

أسد بن عمرو (ت 190هـ / 805م)

في الأصل أسد بن عمر، والمثبت من المصادر، وهو أسد بن عمرو بن عامر، أبو المنذر البجلي الكوفي الأصل، من كبار أصحاب أبي حنيفة، تولى قضاء واسط، اختلف علماء الحديث في توثيقه، توفي سنة 190هـ/ 805م [4].

كما سمع أسد بن الفرات عن المسيّب بن شريك، وأبوبكر بن عياش، وجرير بن عبدالحميد، وعبدالله بن وهب، وغيرهم، وسمع عن يحي بن زكرياء بن أبي زائدة عشرين ألف حديث[5].

كان جلّ من أخذ عنهم أسد بن الفرات من العلماء الأكابر، ومن المحدّثين الثّقات المتفوّقين في الفقه والحديث، وهو ما انعكس على شخصية أسد بن الفرات فكان بحراً من بحار العلم، وقدوة لتلامذته الذين أخذوا عنه.

(1) أحمد بن محمد نصر الدين النّقيب، المذهب الحنفي مراحله وطبقاته ضوابطه ومصطلحاته خصائصه ومؤلفاته، مكتبة الرشد للنشر والتّوزيع، السعودية، ط1، 2001 ، ج1، ص10 ص62 ص64.

(2) ابن المبرد الدمشقي، إرشاد السالك إلى مناقب مالك، تق : رضوان مختار بن غربية، دار ابن حزم، لبنان، ط1 ، 2009 ، ص591.

(3) عياض، المصدر السابق، ص63 .الدباغ، المصدر السابق، ص5.

(4) أبوبكر المالكي، المصدر السابق، ص255.

(5) الدباغ، نفسه، ص4. ابن فرحون المالكي، نفسه، ص305. الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص553.

ب) تلامذته :

عاد أسد بن الفرات إلى القيروان بعلم غزير في الحديث والفقه بشقيه الحنفي والمالكي، وذاع صيته في افريقية واشتهر أمره وظهر علمه، فأقبل عليه طلبة العلم من كل مكان، ومن أبرز تلامذته :

أبوسعيد سحنون [1] عبد السلام (160 – 240هـ / 776 – 854م)

بن سعيد بن حبيب التّنوخي القيرواني صاحب المدونة، أصله من حمص، اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب كالبهلول بن راشد وعلي بن زياد ، وعبد الرحمن بن القاسم وابن وهب وغيرهم من العلماء ، وكانت رحلته للمشرق سنة 188 هـ/ 803م، تولّى القضاء في افريقية من قِبل الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب التّميمي [2] فواجه أهل البدع وفرّق حلقاتهم من المساجد وشَرّد أهل الأهواء ، وكانوا فيه حلقاً من الصّفرية والإباضية والمعتزلة ، فعزلهم أن يكونوا أئمة للناس أو معلمين لصبيانهم أو مؤذّنين [3].

(1) سحنون إسم طائر بالمغرب، يوصف بالفطنة وحِدّة الذّهن، وشدّة الذّكاء والتحرّر، ذلك أنّه كان سؤيع النكتة، وأصل السحن في اللغة: من السّحنة والسّحناء : لين البشرة، والنعمة، والهيئة، واللّون، ويُقال: جاء الفرس مسحناً: كمسحن أي: حسن الحال، وسحنون بعضهم يضبطها بضمّ السين، وبعضهم بفتحها، قال ابن خلكان: وسحنون بفتح السين المهملة وضمّها كلام من جهة العربية، يطول شرحه وليس هذا موضعه ... وقد صنّف فيه أبو محمد السيد البطليوسي جزءاً وقد استوفى الكلام فيه كما ينبغي، ولُقب سحنون باسم طائر حديد الذّهن بالمغرب يسمّونه سُحنوناً لحدّة ذهنه وذكائه. انظر:سحنون بن سعيد التّوخي، فتاوى ابن سحنون، تق :مصطفى محمود الأزهري، دار ابن القيم ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، مصر، السعودية،ط1 ، 2011، ص13.

(2) محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، المصدر السابق، ص103. سحنون بن سعيد التّوخي، فتاوى ابن سحنون، نفسه، ص13. ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تق: محمود علي مكي، وزارة الأوقاف، مصر، 1994، ص188.

(3) نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004، ص45.

سليمان بن عمران (ت 299هـ / 911م)

أبو الرّبيع القيرواني القاضي، وَلّاه سحنون قضاء باجة، مع علمه بأنه يحكم بمذهب أبي حنيفة، وبعد وفاة سحنون تولى قضاء القيروان، وقد كان من أحسن قضاة افريقية جواباً وأحدّهم ذهناً[1]، روى عن أسد بن الفرات وتوفي سنة مائتين وتسعة وتسعين [2].

أبو سنان زيد بن سنان الأسدي (ت 244هـ / 863م)

أخذ عن أسد بن الفرات، وكان فقيهاً ثقة، سمع من البهلول بن راشد، وسقلاب بن زياد، وغيرهم، وهؤلاء من خيرة علماء افريقية وفقهائها، ولذلك عرف بالفقه والثّقة والصّلاح، توفي سنة مائتين وأربع وأربعين [3].

كما تتلمذ على يد أسد أصحابه المعروفون به كمعمر بن منصور، وعمرو ابن وهب، ومحمد ابن قادم، وابن المنهال، وأبو سنان زيد بن سنان الأسدي، وسمع منه سائر الكوفيين كتب أبي حنيفة، وكان أسد إذا سرد أقوال العراقيين يقول له مشايخ المدنيين: أوقد القنديل الثاني يا أبا عبدالله، فيسرد أقاويل المدنيين [4].

(1) الدباغ، المصدر السابق، ص151. أبو العرب، المصدر السابق، ص181.
(2) ابن فرحون، المصدر السابق، ص376.
(3) أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ص388 .
(4) نفسه، ص266 .

المبحث الرابع: آثاره وفضله ومكانته العلمية

أ) آثاره : كتابه الأسـدية

ذكرنا سابقا أنّ أسد بن الفرات تتلمذ على يد عبد الرحمن بن القاسم في مصر، فكان يسأله وابن القاسم يجيبه حتى تمكّن من تدوين ستّين كتاباً وسمّاها الأسدية نسبة إليه، وتُعتبر ثاني المؤلّفات بعد الموطّأ،و كان لها أثر في تطوّر الدّراسة والبحث في الفقه المالكي، وعلى الرّغم من إقبال طلاب العلم عليها منذ بداية أمرها حتى حرص المصريون على انتساخ نسخة منها قبل رحيل أسد بن الفرات إلى القيروان، فإنها لم تلق قبولاً عاماً في الأندلس، لكنها على أية حال كانت معدودة ضمن مرويات الفقه المالكي بالأندلس [1].

وقد تعرّضت الأسدية للنّقد والتّجريح من قبل البعض الذي رأى أنّها نَحَتْ منحى أهل العراق، حيث تُركت فيها الأحاديث والآثار، وأُكثر فيها أخال، وأظن، وأحسب، فأجابهم أسد بن الفرات:"أمَا علمتم أنّ قول السّلف هو رأي لهم، وأثر لمن بعدهم، ولقد كنت أسأل ابن القاسم عن المسألة فيجيبني فيها، فأقول له: هو قول مالك؟ فيقول كذا أخال وأرى، وكان ورعاً يكره أن يهجم على الجواب [2].

وكان أكثر فقهاء الغرب الإسلامي في تلك المرحلة قد مالوا إلى تلقّي السّماعات بوصفها فقهاً جاهزاً، وقليل منهم من جعل " الموطّأ " مصدراً لتفقهه، إلاّ أنّهم لم يكونوا ليفرّطوا في أصل المذهب وتميّزه، فقد كان من مرامي التّفقه الإرتباط بالأثر من خلال تعاهد الرّوايات، والإقلال من الرّأي والقياس الغالبين على المدرسة العراقية، وهذا ما يفسّر إنكار بعض فقهاء القيروان على أسد بن الفرات إدخال الأسدية المشبّعة بالمنهج الحنفي [3].

كان سحنون بن سعيد يكتب الأسدية عن أسد بن الفرات ولما سمع أسد رفض إعطاءها لأي أحد، وقيل أن سحنون تبقى له منها كتاب القسم لم يأخذه عنه، فأتى رجل إلى أسد وطلب منه ذلك

(1) طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبية، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية ، ص242 ص543.

(2) فوضيل الصغير ذكار، مشكلات المدوّنة عند الإمام الرجراجي: " منهج التحصيل " وأثره في الخلاف الفقهي في المذهب المالكي، e-Kutub Ltd ،لندن ، ط1 ، 2018، ص50 ص51.

(3) صادقي مصطفى، منهاج تدريس الفقه: دراسة تاريخية تربوية، المعهد العالمي للفقه الإسلامي، لبنان، ط1، 2012، ص75.

القِسم وحلف أن لا يعطيها لسحنون، فلمّا صار الكتاب إلى الرّجل أتى به إلى سحنون وقال" خذه يا أبا سعيد فما أُعطيته حتى حلفت". فتمّت الأسدية عند سحنون، وذهب بها إلى ابن القاسم فسأله عنها فأجابه ورجع عن بعض ما أجاب به أسداً، وكتب إلى أسد يأمره أن يردّ مدونته على مدونة سحنون [1]، فلما قرأ أسد كتاب ابن القاسم أراد أن يفعل ما أمره به، فشاور في ذلك جماعة من تلامذته، فقالوا له: لا تفعل فإنّك تَتّضع عند الناس إن فعلت ذلك وترجع له تلميذاً وأنت أدركت مالكاً، وأخذت عنه، ودخلت الكوفة، فأخذت عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن، فاترك هذا واحمل عن هؤلاء. فلم يقبل أسد كتاب ابن القاسم في ذلك وتمسّك بكتابه [2].

وروي عن عبدالله بن سعيد بن الحداد عن أبيه قال « سمعت معمراً[3] يقول : دخلت على أسد فوجدته يبكي، فقلت له : أمصيبة نزلت بك ؟، فقال : لا، ولكنه جاءني كتاب ابن القاسم يأمرني فيه أن أردّ كتابي على كتاب سحنون وأنا ربيته، فقلت له : أنت أهل لما أصابك، إنّما عُرف ابن القاسم بك. فقال لي لا تفعل، فلو رأيت ابن القاسم لعزّ عليك أن تقول فيه هذا ». ويُروى أنّ ابن القاسم لما بلغه ما فعل أسد دعا على الأسدية أن لا يُنتفع بها فأجيب دعاؤه. ونشر سحنون مدونته، وسمعها عليه أهل المغرب، وانتشر ذكرها في الآفاق، وعوّل الناس عليها وأعرضوا عن الأسدية، وغلب عليها اسم سحنون [4].

(1) مدونة سحنون: تدور المدونة على مالك بن أنس، وعبدالرحمن ابن القاسم، وأسد بن الفرات وسحنون بن سعيد، وكلهم مشهور بالإمامة والعلم والفضل، وعُدّت من تأليف ابن القاسم وأنها تهذيب جديد لكتابه بعد التّهذيب الأول لأسد بن الفرات في الأسدية. وكان سحنون يقول " إنّما المدونة بمنزلة أم القرآن من القرآن، تجزيء في الصلاة عن غيرها ولا يجزيء غيرها عنها، لأفرغ الرجال فيها عقولهم وشرحوها وبينوها فما اعتكف أحد على المدونة ودراستها إلا عرف ذلك في ورعه وزهده وما عداها أحد إلى غيره إلا عرف ذلك فيه ولو عاش عبدالرحمن أبدا ما رأيتموني أبداً"، والمدونة مقدمة على غيرها من الدّواوين بعد موطّأ مالك، ويروى أنه ما بعد كتاب الله كتاب أصحّ من موطأ مالك رحمه الله ولا بعد الموطّأ ديوان الفقه أفيد من المدونة. والمدونة هي عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وكتاب اقليدس عند أهل الحساب، وموضعها في الفقه موضع أم القرآن من الصلاة". انظر : محمد عز الدين الإدريسي، الإمام مالك والموطأ والمدونة بعيون مغربية، منشورات المجلس العلمي المحلي لمراكش، المغرب، ط1 ، 2016، ص252 ص262.

(2) الدباغ، المصدر السابق، ص15.

(3) معمر بن منصور : من تلامذة أسد بن الفرات.

(4) الدباغ، نفسه ،ص16. عياض، المدارك، المصدر السابق، ص209.

ب) فضله ومكانته العلمية :

تفوقه في الحديث والفقه :

يعتبر أسد من كبار المحدّثين القرويّين، وما تقدّم عن طلبه العلم يؤيّد ذلك، إلا أنّ الباحثين لم يسبق لهم إبراز هذا الجانب، واكتفوا بالإشارة إلى علمه بالفقه، حتى كادت تضيع شخصيته كمحدّث، ولعلّ من أهم الأسباب التي أغفلتهم عن هذا ما عُرف به أسد من الميل إلى المناظرة في الأحكام الشّرعية، وإعمال الذّهن، وكثرة المساءلة، وكذلك لما جاء في بعض الكتب من وصفه بأنه حنفي المذهب، يميل إلى الرّأي، هذا بالإضافة إلى عدم وجود من اعتنى بدراسة كافية في إبراز علم الحديث في افريقية في هذه المرحلة[1].

ويتّضح ممّا سبق أنّ التّكوين الحديثي أبرز من التّكوين الفقهي في حياة أسد، فقد ابتدأ حياته العلمية بسماع الموطّأ من علي بن زياد في سنّ مبكرة، ثم أعاد سماعه مباشرة من مالك، ولما رحل إلى العراق كان في مستوى يؤهّله لتدريس الحديث فأسمع بها الموطّأ، والمحدّثين الذين أخذ عنهم هم من المحدّثين الأثبات[2].

وقد كان لأسد دور في إثراء الحياة الفكرية في مصر، فيُروى عنه أنّه لمّا عزم على الرّحيل إلى افريقية قام عليه أهل مصر فسألوه في كتاب الأسدية أن ينسخوه، فأبى عليهم فقدّموه إلى القاضي بمصر فقال لهم القاضي: وأيّ سبيل لكم عليه؟ رجل سأل رجلاً فأجابه وهو بين أظهركم فسألوه كما سأله: فرغبوا إلى القاضي في سؤاله أن يقضي حاجتهم، فسأله القاضي فأجابه إلى ذلك فنسخوها حتى فرغوا منها، وأتى بها أسد إلى القيروان فكتبها النّاس[3].ومن الجدير بالذّكر هنا أنّ سماع أسد في مصر من أصحاب مالك كان فيه حديث كثير، لأنهم من الرّواة، وهذا كان كافياً لجعل أسد في قمّة محدّثي القيروان حيث إنّنا لا نكاد نعثر على من ظفر بمثل شيوخه، كثرةً وحفظاً وإتقاناً، وسعةً في الرّواية[4].

(1) الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص554.
(2) نفسه، ص554.
(3) عياض، المدارك ، المصدر السابق، ص298.
(4) الحسين بن محمد شواط، نفسه، ص555.

ولعلّ ما يدلّ على علم أسد بالرّجال من الفقهاء والعلماء وتتبّعه للأسانيد قوله " أهل الكوفة إذا أرسلوا في الرّواية عن عبدالله فهو ابن مسعود، وأهل المدينة إذا أرسلوا في الرّواية عن عبدالله فهو ابن عمر، وهذا الخبر يشعرنا بمدى إتقان أسد لإطلاقات القوم، وما درجوا عليه في أسانيدهم من التّسميات، ولا شك أنّه كان يعلّم ذلك لطلابه حتى انتقل إلينا. هذا ويُعدّ أسد إماماً من أئمة المسلمين، فقد بلغ درجة الإجتهاد، واستفاضت شهرته، وشاعت إمامته، وقد وسمه الذّهبي في سير أعلام النبلاء بقوله " الإمام العلّامة القاضي الأمير "، وقال أبو العرب" وكان ثقة لم يكن فيه شيئ من البدع"، وقال صاحب شجرة النور" الفقيه الحافظ، الرّواية، الثقة الأمين" [1].

وممّا أسند إليه من الحديث: عن أسد عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: " تُفتح أبواب الجنّة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكلّ عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلّا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا" [2].

موقفه من بعض المسائل في عصره :

كان أسد بن الفرات ثقة لم يقذف ببدعة وكان مذهبه مذهب أهل السّنة والجماعة، وكان إمام العراقيين بالقيروان، وكان يقول « القرآن كلام الله عزّ وجل وليس بمخلوق»، ويُبدّع من يقول بذلك، وقيل لسحنون أن أسداً يقول بخلق القرآن[3] فقال والله ما قاله. وكان أسد يقول « إنّ الله على العرش استوى بلا كيف ويُرى في الأخرى كيف يشاء لا كما يشاء العباد. ويكفر من يمنع ذلك »، فكان يكفّر

(1) الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص455.

(2) أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ص256 ص257 .

(3) مسألة خلق القرآن : هذه المسألة أثارها المعتزلة وهي أصل من أصولهم الخمسة، ظهرت في أواخر الدولة الأموية على لسان الجعد بن درهم، وظلت تنمو ويدور حولها الجدل وتتسع فيها المناظرة إلى عهد المأمون حيث أظهر بشر المريسي القول بخلق القرآن، ودعا الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه، وشبّه الأمر على الخليفة المأمون وعامة الناس، وحملهم على الدّخول في هذا الكفر والضّلال، انظر : عبدالعزيز بن يحيى الكناني، كتاب الحيدة قصة المناظرة بين المؤلف وبشر المريسي في مسألة خلق القرآن، تق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007،ص4.شوقي إبراهيم، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والساسية، مكتبة مدبولي، مصر، 2000 ، ص58 .

بشراً المريسي[1] ويتكلّم فيه بأقبح الكلام، وبلغه أنه وضع كتاباً وسماه " كتاب التوحيد "، فقال أسد « أوَ جهل الناس التّوحيد حتى يضع لهم بشر كتاباً ؟ هذه نبوة ادّعاها »[2].

ويروى عن أسد أنه تلا هذه الآية : ﴿ **فاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنا الله لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِيْ**﴾[3]. ثم قال « ويح أهل الأهواء والبدع، هلكت هوالكهم، يزعمون أن الله تعالى خلق كلاماً يقول ذلك الكلام المخلوق: إنّني أنا الله ... الآية ».

وقيل أنه قُرِأ عليه يوماً ﴿**وُجُوْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَة إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة**﴾ [4]. وسليمان الفرّاء المعتزلي [5] في مؤخر المسجد فقال « من الإنتظار، يا أبا عبدالله، فأخذ أسد بتلابيبه[6] ونعلاً غليظاً وقال له: يا زنديق! لتقولنّها أو لَأَبتضُّ بها عينيك ! فقال سليمان : نعم، ننظره »[7].

وسُئل أسد عن النّبيذ [8] إن كان حلال أم حرام، فقال « إنّ النّبيذ أخبث الخبائث، ليس تقوم بالنّبيذ عبادة ولا صيام ولا صلاة ولا جهاد ولا صدقة، إنّما يقوم به مزمار أو عود أو طنبور، فلو لم يعتبر

---

(1) بشر المريسي : زعيم البغداديين من المعتزلة، كان الناس يرهبونه ويفزعون من مناظرته، ويحجمون عن الرّد عليه، فاستتروا في بيوتهم وانقطعوا عن الجمعة والجماعات، وهربوا من بلد إلى آخر خوفاً على أنفسهم وأديانهم. فمُنع الفقهاء والمحدّثون من القعود في الجوامع، إلا بشرا المريسي، ومحمد بن الجهم ومن كان موافقاً لهما على مذهب المعتزلة، فإنهم كانوا يقعدون ويجتمع الناس إليهم فيعلمونهم، وكلّ من أظهر مخالفتهم وذمّ مذهبهم أو اتّهم بذلك أحضروه، فإن وافقهم وأجابهم إلى ما يدعونه إليه تُرك وإلا قتلوه سراً وحملوه من بلد إلى بلد. انظر : عبدالعزيز بن يحي الكناني، المصدر السابق، ص5.

(2) أبوبكر المالكي، المصدر السابق، ص264.

(3) الآية 13 من سورة طه .

(4) الآية 23 من سورة القيامة .

(5) سليمان الفراء المعتزلي: كان سليمان على مذهب المعتزلة ، والإعتزال لغة معناه الإنفصال والتّنحي، هذا لغة أما اصطلاحاً، فالمعتزلة هم فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري .انظر : عواد عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرّشد، السعودية، ط2، 1995، ص13 ص14.

(6) التّلبيب طوق الثّوب، أخذ بتلبيبه : "أمسكه من أعلى ثوبه كأنّه يريد ضربه".

(7) عياض، تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص62 ص63.

(8) مسألة شرب النّبيذ : كان الخلاف بين المذهبين المالكي والحنفي واقعاً ملموساً في المستوى الإجتماعي فيما يتعلّق بمسألة النبيذ وانعكاساتها، فكان مثلاً أسد بن الفرات يرى تحريم النبيذ، بينما زميله في القضاء أبو محرز يحلّه، وتناظرا في ذلك بين يدي الأمير زيادة الله. وتفاوت موقف أمراء الأغالبة تجاه مسألة شرب النّبيذ في القيروان، فأصدر رابع أمراء الأغالبة أبو عقال الأغلب بن إبراهيم مرسوماً بقطع النّبيذ في القيروان ومعاقبة بائعه وشاربه. انظر : عبدالحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص311. محمد الطالبي، الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة (184 – 296هـ / 800– 909م) تحقيق ثلاث مخطوطات من مكتبة القيروان الأثرية، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2017، ص17.

تحليله من تحريمه إلا بأخواته التي تقارنه لكفى)). وكان أسد يقول ((يا معشر طلبة العلم، إنّكم تنوبون للمسلمين نيابة عظيمة، بتقييدكم العلم عليهم، فلكم في بيت مال المسلمين حق ذلك، وكذلك قالت العلماء : من ناب نيابة للمسلمين فله في بيت مالهم حق)). وكان يقول ((ثلاثة لا بدعة غيبة فيهم: صاحب بدعة، وأمير غشوم، ومن ألقى جلباب الحياء وظاهر السّوء))[1].

وروي أيضاً عن أسد أنه ((كان يأتي إليه شاب [2] يطلب العلم، فبينما هو جالس ذات يوم إذ سأله عن صناعته، فأخبره الشاب، فقال له أسد : " قم ! ". فقال له الشاب : " ما قصّتي أصلحك الله ؟ إن كنت أنكَرت صناعتي تركتها " فقال له أسد : " ما أنكرتها، ولكنّي أنكرت تعطيلك لحانوتك الذي منه معاشك، وتقوى به على طلب العلم، وصاحب الحانوت إنّما هو بالحرفاء[3] فإذا جاءك حريفك اليوم ولم يجدك وغداً فلم يجدك، وبعد غد مثل ذلك، استبدل بك غيرك، فضررت بنفسك وبمن تعوله. ولكن إن عزمت فاجعل لنفسك يوماً أو يومين في الجمعة يعلم حرفاؤك بمغيبك عن حانوتك في ذلك اليوم أو اليومين، فيأخذون ما يحتاجون إليه قبل مغيبك "، ثم قال له أسد " أنظر إلى هؤلاء الذين يأتوننا، إنّما هم أهل حرث وحصاد، فإذا كان وقت حرثهم وحصادهم لم تر منهم أحداً يجيئ إلينا، فإذا انقضى حرثهم أو حصادهم عادوا إلى ما كانوا فيه))[4].

يتبيّن لنا مما سبق أنّ أسد بن الفرات كان على عقيدة أهل السّنة والجماعة، ولذلك كان من أشدّ علماء المغرب على أهل البدع والضّلالات فكان يُكفرّ من يقول بخلق القرآن، ويُحرّم النبيذ، ويعمل على نشر مذهب مالك ومذهب أبي حنيفة ويلتزم بأقوالهم ما وافق الحق عنده. واستطاع أن يجمع في حلقته من يأخذ بمذهب أهل المدينة ومن يميل إلى رأي أهل العراق لأنه درس المذهبين معاً وتعمّق فيهما. وكان أحد الشّجعان وله مواقف مشهودة في الدّين، بالإضافة إلى خصاله الحميدة ونصحه لتلامذته وإرشاده لهم .

(1) أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ص269.

(2) يظهر أن هذا الشاب من تلامذة أسد، إلا أن المصادر التاريخية لم تذكر إسمه.

(3) الحرفاء بمعنى الزّبائن. ويقال جاءك حريفك بمعنى جاءك زبونك .

(4) أبو بكر المالكي، نفسه، ص269.

الفصل الثاني : أسد بن الفرات ودوره في فتح صقلية

المبحث الأول : التّعريف بجزيرة صقلية.

المبحث الثاني : دوافع فتح جزيرة صقلية.

المبحث الثالث : انتداب أسد بن الفرات لفتح صقلية وسير عملية الفتح.

المبحث الرابع : نتائج فتح جزيرة صقلية.

الفصل الثاني : أسد بن الفرات ودوره في فتح صقلية

كان لأسد بن الفرات دورٌ أساسي في فتح جزيرة صقلية التي استعصى فتحها على المسلمين من قبل، فقد فتح أغلب مدنها ومهّد الطّريق لمن بعده لاستكمال فتحها، فأصبحت بعد الفتح واستقرار الإسلام فيها المنبع الثاني الذي انتقلت منه الحضارة الإسلامية إلى أوروبا بعد الأندلس، فقد عرفت ازدهاراً علمياً وحضارياً وعمرانياً كبيراً، خاصة في عهد الأغالبة.

المبحث الأول : التعريف بجزيرة صقلية

التّسمية :

صِقِلِّيَّةُ بثلاث كسرات وتشديد اللّام والياء أيضاً مشدّدة، والبعض يقول بالسّين، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصّاد واللّام، وهي جزيرة كثيرة البلدان والقرى والأمصار [1]، وقيل إنّ فيها مائة بلد وثلاثين بلداً بين مدينة وقلعة غير ما بها من الضِّياع والمنازل، وإسم صقلية لإحدى مدنها فنُسبت الجزيرة كلها إليها، ومعناه باللّسان القديم: تين وزيتون، وقيل سمّيت صقلية باسم "سيقلو" أخو "ايطال" الذي سميت به إيطالية، وكانت تعرف بـ" تري قريا "، ومعناه باللّسان الإغريقي: ثلاثة في أربعة ، وإنّما ذلك لثلاثة مواضع فيها، وهي بلرم [2] التي هي قاعدتها وباجنة [3]ولياووم [4]، وبين صقلية وبلد إيطالية خليج من البحر [5].

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، المصدر السابق، ص416.

(2) بلرم: كان إسمها اليوناني بانرموس، وكانت مدينة كنعانية قرطجانية حسا ومعنى، اعتُبرت من أمهات المدن قديماً وحديثاً، ومن أجمل وأجل، الحواضر في كل الأقطار والأمصار، اتخذها أمراء المسلمين عاصمة لملكهم، وأصبحت مراكزاً من أهم مراكز الحضارة والنور بالبحر الأبيض المتوسط وارتفعت بتجارتها وصناعتها وعلومها إلى مصاف عواصم الإسلام الكبرى. انظر: أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وإيطاليا، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع ، الجزائر ،ط1 ، (د تا) ، ص38.

(3) باجنة: الأرجح أن تكون باجنة هي " باشنو" التي يذكرها الإدريسي كما اقترح الأستاذ رتزيتانو.

(4) لياووم: يُرجع الأستاذ نفسه أنها محرفة، وأن مكانها في الزّاوية الشّمالية الشرقية هو الفارو (il Faro).

(5) محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تق : إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2 ، 1984 ، ص367.

الموقع والطّبيعة الجغرافية :

تقع جزيرة صقلية شرقي الأندلس بالقرب من افريقية، وهي على شكل مثلث متساوي السّاقين زاويته الحادة من غربي الجزيرة، يحدّها من الجنوب جزيرة قوسرة [1]، ومن الغرب جزيرة قرشقه [2]. وتغلب على صقلية الجبال والقلاع والحصون، وأغلب أرضها مسكونة مزروعة، ومن أشهر مدنها مدينة بلرمالتي تحتوي على سور منيع من الحجارة، يسكنها التّجار، ومدينة تعرف بالخالصة يسكنها السّلطان وجيشه وأتباعه، وبها حارة الصّقالبة وهي أقدم وأجلّ من المدينتين المذكورتين [3].

يفصل جزيرة صقلية عن إيطاليا مضيق مسينه[4] الضَيّق، ولذلك فإن الجزيرة إمتداد جغرافي لشبه الجزيرة الإيطالية، كما تقع الجزيرة من النّاحية الأخرى على مسافة يسهل عبورها بحراً من الشّمال الإفريقي، حيث أنّ المسافة بين جنوبي صقلية وبين أقرب سواحل أفريقية إليها وهي جزيرة شريك في شمال افريقية، فتصل إلى مائة وعشرين كيلومتراً، وتوجد بين صقية وبين سواحل افريقية بعض الجزر الصغيرة، منها جزيرة قوصرة المذكورة، بين ساحل مدينة المهدية والرّكن الجنوبي الغربي لصقلية حيث مدينة مازر، ويمكن تقسيم صقلية إلى ثلاثة أقاليم جغرافية هي إقليم مازر وإقليم نوطس وإقليم دمنش، وكان هذا التّقسيم ذا أهمية بالغة أثناء غزو المسلمين للجزيرة [5] وتتميّز صقلية بموقعها وتوسّطها بين افريقيا وأوروبا فهي بهذا ملتقى حضارات جمة فينيقية ويونانية ورومانية وقوطية وبيزنطية وعربية [6].

(1) في معجم البلدان (قوصره) (تسمى حالياً بنطلارية) وقوصره بفتح القاف وسكون الواو وفتح الصّاد والراء المهملتين وفي آخرها هاء، وهي جزيرة من جزر بحر الرّوم (البحر الشامي) (البحر الأبيض المتوسط)، تقع قبالة افريقية بالقرب من تونس وبينها وبين صقلية مجرى، يوجد بها شجر المصطكى أو المستكه (الضّرو) ويُجلب منها التين والقطن. انظر: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبو الفداء صاحب حماه، تقويم البلدان، تق: رينود و ماك كوكين ديسلان، دار صادر، دار الطّباعة السّلطانية، فرنسا، 1815، ص189.

(2) في معجم البلدان (قرشق) تقع مقابل مدينة جنوة الإيطالية، بينها وبين جزيرة سردانية عشرة أميال. انظر: ابو الفداء، نفسه، ص189.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992، ص113.

(4) مَسِّينَه : بفتح الميم وكسر السين المشدّدة وسكون الياء وتح النون ثم هاء. وهي مدينة من مدن صقلية تقع في الزّاوية الشّمالية للجزيرة، وهي مدينة مشهورة بكثرة العنب والخمر. انظر: أبو الفداء، نفسه، ص192.

(5) عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، تر: أمين توفيق الطّيبي، الدار العربية للكتب، مصر، 1980، ص8. عبدالواحد ذنون طه وآخرين، المرجع السابق ، ص257.

(6) يوسف حسن نوفل، العرب في صقلية وأثرهم في نشر الثقافة الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1965، ص9.

أما مناخ صقلية في جملته معتدل، وفصل الشتاء فيها ليس قارس البرد بفضل الجبال الشمالية التي تحميها منه، وهو يمتدّ فيها من شهر نوفمبر حتى شهر مارس، وفصل الصيف معتدل الطّقس إلّا ما يهبّ عليها من رياح السّموم التي تأتيها من افريقية، ويكفي لنتصوّر اعتدال المناخ فيها أن درجة الحرارة في بلرم لا ترتفع عن 27 درجة صيفاً ولا تهبط عن 11 درجة شتاءاً، ولذلك سُمّيت بلاد الربيع الأبدي، واعتدال مناخها هيّأها لأن تنمو فيها مختلف الزّروع والغروس، وتكثر الأمطار في ساحلها الغربي الشّمالي [1].

ويذكر المؤرخ "أماري" في معرض وصفه لها عن كتاب آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني فيقول «...وهي حصينة كثيرة البلدان والقرى كثيرة المواشي جداً من الخيل والبغال والحمار والبقر والغنم والحيوانات الوحشية ومن فضلها أنّ ليس بها عاد بنابٍ أو برثن أو إبرة، وبها معدن الذهب، والفضة، والنّحاس، والرّصاص، والحديد وكذلك معدن الشب، والكحل والزّجاج، ومعدن النوشادر، ومعدن الزئبق، وبها المياه والأشجار، والمزارع، وأنواع الفاكهة على اختلاف أنواعها، لا تنقطع شتاءاً ولا صيفاً، وأرضها تنبت الزّعفران »[2].

اشتهرت جزيرة صقلية بالكبريت، ويوجد غالباً في مقاطعات الجنوب الشرقي، وكذلك حول مدينة بلرم، و يَلي ذلك في الأهمية الملح المعدني المستخرج من طبقات الأرض، والرّخام بمختلف أنواعه الرّفيعة والعادية، وحجارة الكلس والجصّ والقار بنوعيه[3].

وبالنسبة للتضاريس فيُعتبر جبل " إينتا " أعلى جبال صقلية، ويقع في أقصى الشّمال، ويبلغ إرتفاعه ثلاثة آلاف متر تقريباً، وتغطي قمته الثّلوج في أغلب أوقات السنة، وفي باطنه بركان تغطي حممه الأرض بطبقة خصبة يصفه الحميري بقوله : بركان عظيم لا يُعلم في العالم أشنع منظراً منه ولا أغرب

(1) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات ليبيا وتونس وصقلية، دار المعارف، القاهرة، 2009، ص331.
(2) عبد الرزاق حسين، الأدب العربي في صقلية، دار المأمون للنشر والتّوزيع، الأردن ، ط1 ،2013 ، ص22.
(3) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص13.

خبراً، وهو في جزيرتين شمالاً من هذه الجزيرة، وإذا هبّت الرّيح الجوفية سُمع له دويٌّ هائل كالرّعد القاصف [1].

وتمتد شمالي الجزيرة سلسلة جبال من الشّرق إلى الغرب، أكبر الظّنّ أنها إمتداد لجبال الأبنين في إيطاليا وجبال الأطلس في شمال إفريقيا، وهي جبال صخرية جرداء، وطبقتها الخارجية تتكون من حجارة كلسية وبعض أنواع الرّخام الرّفيع، ومنها تتكون بعض جبال فرعية، تنحدر صوب الجنوب ومن أهمها الجبال التي أُنشئت فوقها مدينة قصريانة وسط الجزيرة، والجبال التي تتّجه نحو مدينة جرجنت وهذه الجبال غنية بالخزف والرّخام والملح المعدني والجصّ، وكل ذلك يُكوّن ثروة طبيعية مهمة لصقلية [2].

التاريخ القديم :

استوطن صقلية في أقدم عصورها شعب الصّيقول، ومنذ أكثر من ألف سنة قبل الميلاد أخذ يفد عليها غزاة من الشّرق أو الجنوب أو الشمال، فكانت تخضع لهم بحكم أنّها جزيرة صغيرة لا يمكنها مقاومة هؤلاء الغزاة، وقد نزل الفينيقيون بسواحلها وأسسّوا لهم في شمالها قاعدة هي بَلرم، ومضت على ذلك قرون، وإذا اليونان يتبعونهم في الإستيلاء على ساحلها الشرقي ويؤسّسون به قاعدتين في القرن الثامن قبل الميلاد هما سرقوسة وقطانية، وسرعان ما تحولتا إلى مدينتين كبيرتين، وصعدوا إلى الشّمال وأسّسوا مدينة مسينى [3].

وفي هذه الأثناء كانت دولة قرطاجة في الشّمال التّونسي آخذة في القوة فاستطاعت أن تفرض سيادتها على الجزيرة سنة 264 ق م، غير أنّ القرطاجيين نشبت بينهم وبين الرّومان حروب عاتية، فغادروها سنة 242 ق م، وأصبحت جزءاً من الإمبراطوية الرّومانية. ثم سقطت بعد ذلك تحت حكم الوندالين الذين استولوا على افريقية، ثم استرجعها البيزنطيون الذين حكموا الجزيرة مائتين واثنتين وتسعين عاماً، إلى أن افتتحت من قِبل الأغالبة [4].

(1) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص331. الحميري، المصدر السابق، ص367.
(2) شوقي ضيف، نفسه، ص332.
(3) نفسه، ص333.
(4) عبد الواحد ذنون طه وآخرين، المرجع السابق، ص259.

أوضاع صقلية قبيل الفتح الإسلامي :

استمرت صقلية تحت حكم البيزنطيين الذين كانت لهم فيها ممتلكات كثيرة بما فيها أراضٍ شاسعة، يعمل فيها فلاحون يكدحون تحت عبئ الضّرائب، وكانوا أشبه ما يكونون بالعبيد من حيث ارتباطهم بالأرض، وكانوا يعانون من التّعسّف والظّلم والإستبداد، فحصلت بسبب ذلك عدّة ثورات بما في ذلك تلك التي قادها قائد الأسطول الصّقلي فيموس (فيمي) [1].

كان يحكم صقلية بطريق، أي قائد عسكري يسمى بيلاتوس، ويسمّيه العرب بلاطة، يعتمد على قوة عسكرية قليلة، وكان يرهق السّكان بمطالبه المالية، فكانوا في حالة تذمّر عليه وضيق من الحكم البيزنطي كلّه، أي أنّ المنطقة في الحقيقة كانت منطقة فراغ سياسي [2] وهو ما جعل المسلمين ينتهزون الفرصة فسارعوا لفتح الجزيرة [3].

أمّا بالنّسبة لمكونات المجتمع الصّقلي فكانت الجزيرة تضمّ خليطاً من الأجناس، أهمّ عناصره الإغريق، والإيطاليون، إلى جانب جماعات أخرى من اليهود المنكمشين على أنفسهم، ولكنّهم لم يكونوا كثيري العدد، وقد أضافت السّلطة إلى هذه الأجناس بعض المنفيين، حيث كانت تُعتبر صقلية منفى المذنبين والمجرمين، والجنود الخارجين عن القانون، وكانت الخرافات تسيطر على حياة تلك الأجناس، حتى مزجها الناس بالدِّين، فعبدوا القدّيسين والشّهداء [4].

وجملة القول أنّ صقلية البيزنطية كانت قبيل الفتح الإسلامي قد فقدت شخصيّتها ومقومات الحياة العمرانية فيها، كما اختنق فيها كلّ شعور بالرفعة الإنسانية، وبلغت درجة كبيرة من الإنحطاط في كلّ المجالات، فكانت خاملة قليلة العمارة، ولما حَرّر العرب المسلمون بلاد المغرب، هرب أهل افريقية إليها، فأقاموا بها، وحاولوا إعمارها، وأحسنوا في ذلك، حتى افتتحت أيام الأغالبة، وهذا يدلّ على

(1) Ahmed Ben Milad , Histoire De La MedecineArab En Tunisie Durant Dix Siecles ,Cartaginoisries , Tunisie , 2016 , P 284.

(2) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص101.

(3) L.Gaston ,Histoire De La Tunisies Depuis Les Origines Jusqua Nos Jours , Editeurs Ahmad Colin , Paris , p 132 .

(4) عبد الواحد ذنون طه وآخرين، المرجع السابق، ص259.

الصّلة الوثيقة بين افريقية وصقلية في أثناء دخول العرب إلى المغرب، كما يدلّ على ذلك سهولة الإنتقال والعبور بين الجانبين [1].

الحملات الإسلامية السابقة على جزيرة صقلية :

سبق الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية عدّة غزوات، فقد وجّه إليها المسلمن منذ أيام "معاوية بن حديج" الأساطيل المرّة تلو الأخرى، وكانوا يعودون منها بغنائم كثيرة، ففي سنة 85هـ / 704م غزا "موسى بن نصير" صقلية وهاجم سرقوسة، وغنم منها غنائم هائلة، وشارك في هذه الحملة كبار رجال المسلمين وتسمى بحملة الأشراف، وفي السّنة التّالية 86هـ / 705م وجهت حملة ثانية قادها "عياش بن أخيل" الذي هاجم مدينة سرقوسة فقاتل أهلها وعاد محمّلاً بالغنائم.كماشنّ المسلمين العديد من الحملات على صقلية في الفترة 102هـ - 111هـ، وكانت كلّها حملات ناجحة،كما كلّلت إحدى هذه الحملات بأسر قائد البيزنطيين سنة 110هـ [2].

ولكن حملات المسلمين على الجزيرة انقطعت منذ أن تولى الولاة العباسيون أمر افريقية، فتجرّأت سفن الرّوم على شنّ غارات بحرية على السّواحل الإفريقية، ولعلّ ذلك كان السّبب الذي جعل هرثمة بن أعين يهتم ببناء القصر الكبير بالمنستير [3] سنة 180هـ، وبناء سور مدينة طرابلس مما يلي البحر [4].

وظلّ الرّوم يواصلون هذه الغارات البحرية على السّاحل التونسي في أيام إبراهيم بن الأغلب إلى أن وَقّع البطريق جريجوري مع أمير القيروان سنة 197هـ هدنة لمدة عشر سنوات، ثمّ تجدّدت أعمال

(1) عبد الواحد ذنون طه وآخرين، المرجع السابق، ص260.

(2) نهلة شهاب أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان ، 2009، ص11.
كانت هناك حملات أخرى خلال السّنوات 112 – 115هـ: 730 – 733م بقيادة كل من " ثابت بن خثيم " و " عبدالملك بن قطن " و "عبدالله بن قطن " و " بكر بن سوادة "، وقد حققت هذه الحملات أهدافها وعادت سالمة عدا الحملة الأخيرة التي ضربت مراكبها بالنار الإغريقية من قبل البيزنطيين. انظر: نهلة شهاب أحمد، نفسه، ص12.

(3) المنستير : كان المنستير ميناء يقع بين سوسة والمهدية، وكانت في الأصل رباطاً أو قصراً يرابط فيه المسلمون لحماية ثغور إفريقية من الغارات البحرية التي كان يقوم بها الروم، بناه هرثمة بن أعين والي افريقية من قبل هارون الرشيد في سنة 180هـ، ومنذ تأسس هذا القصر انتجعه الناس وبنوا بيوتهم حوله حتى أصبح قصر المنستير مدينة عامرة كثيرة السكان. انظر: عبدالعزيز سالم، المرجع السابق، ص366.

(4) نفسه، ص299.

القرصنة المتبادلة بين المسلمين والرّوم [1]. ففي سنة 201هـ، شنّ الأمير زيادة الله حملة على سردانية ولكن نجاحها لم يكن تاماً، إذ عطبت بعض المراكب، ومع أنّ ابن الأثير يجعل غزو سردانية في 201هـ كمقدمة لفتح زيادة الله لصقلية، فإنّنا نجد في حوليات ابن عذاري حملة أخرى لزيادة الله قريبة الشّبه من تلك الحملة إذ يظهر من الرّواية أنّها لم تكن موفقة تماماً، وذلك أن رجالها " أصابوا وأصيب منهم، ثم قفلوا "، دون إشارة إلى المغانم أو السّبي.وفي سنة 204هـ / 819م، سَيّر زيادة الله قريبه أبو العباس محمد بن عبدالله ابن الأغلب بن سالم لغزو صقلية، قبل غزوها على يد أسد بن الفرات، وبذلك يكون قد قطع الهدنة التي تم عقدها قبل ست سنوات مع قائد الجزيرة البيزنطي [2].

بفضل هذه الحملات المتكرّرة، تعرّف العرب في افريقية على جزيرة صقلية، وعلى جزر البحر الأبيض المتوسط كسردانية وكوريسكا. وأصبحت هذه الجزر هدفاً مباشراً للقوة البحرية العربية التي نمت وترعرعت، وأصبحت على أشد ما تكون من قوة[3] في عهد زيادة الله الأول الذي اعتنى بالأسطول البحري، فشرع في بناء أسطول قوي، فأنشأ إلى جانب دار صناعة السفن في تونس، دار أخرى في مدينة سوسة حيث عمل فيها فتيانه من السّود في بناء السّفن، وقد ضاق المكان في هذه الدّار، لاسيما عند التّهيّؤ لافتتاح صقلية، مما اضطرّ العاملين إلى استخدام مقبرة سوسة وهدم ما فيها من القبور لتوسيع دار الصّناعة ووضع المراكب التي كانوا يقومون بإنشائها [4].

بناءاً على كل ذلك بدأ زيادة الله الأول في التّفكير بغزو صقلية بشكل نهائي في سنة 212هـ / 827م، رغم ما كان يصادفه من متاعب داخلية[5]، في داخل مملكته، فمن جهة كان سيفتح بلاداً

(1) عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص299 ص300.

(2) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي: تاريخ دول الأغالبة والرّستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين ، دار المعارف ، مصر، 1998 ، ج2 ، ص196 ص197 .

(3) عبد الواحدذنون طه وآخرين ، المرجع السابق، ص256 .

(4) نهلة شهاب أحمد ، تاريخ المغرب العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2010، ص186 .

(5) كانت أيام زيادة الله بن الأغلب كلّها أيام فتنة واضطراب، بسبب قلّة كفايته وسوء تصرّفه مما كان سبباً في نشوب العديد من الثورات، وقد كان زيادة الله في ضيق وهم دائمين، وربّما كان هذا بعض سبب إسرافه في الشّراب، وقد كادت هذه الثورات أن تطيح بدولة الأغالبة، فلم يبق تحت سلطان زيادة الله إلا قابس والساحل ونفزاوة وطرابلس، ولكنّه استطاع قمع هذه الثّورات وإعادة الأمن للدولة. انظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ص167.

جديدة ويضمّها لأرض الإسلام، ومن جهة ثانية توجيه حماس أهل افريقية من المقاتلين نحو الجهاد في بلاد الرّوم، فيتخلّص من المتاعب التي كانوا يسبّبونها له، ويحقق لبلاده ما كان يصبوا إليه من الأمن والإستقرار [1].

المبحث الثاني : أسباب ودوافع فتح جزيرة صقلية

ممّا لاشكّ فيه أنّ أعظم إنجاز قام به الأغالبة هو فتح صقلية في عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، الذي أولى اهتماماً كبيراً بالجانب العمراني والجانب العسكري كما أشرنا سابقاً، ولعلّ من أهم أسباب فتح جزيرة صقلية مايلي :

أسباب غير مباشرة :

– الرّد على غارات الرّوم البيزنطيين على الثّغور الإسلامية وعودةً إلى السياسة التي جرى عليها الأمويون في المبادرة بشنّ الغارات على حدود البيزنطيين، فقد كان زيادة الله قد قرّر انتهاج سياسة بحرية قوية غرضها تضييق الخناق على الأسطول البيزنطي، ولما كانت صقلية تمثل أحد مراكز هذا الأسطول، الذي ظلّ يهدّد السّواحل العربية لحقبة طويلة من الزّمن، لا سيما في أوقات انشغال العرب في مشاكلهم الدّاخلية، فقد قرّر زيادة الله توجيه ضربة قوية لهذا الأسطول بمحاولة السّيطرة على قاعدته في صقلية، لأنها اتّخذت قاعدة للهجوم على العرب. وكان آخر هجوم تتعرض له السواحل العربية من صقلية قم تمّ في السنة التي سبقت الفتح أي سنة 211هـ / 826م، حيث تعرضت افريقية لهجمة بحرية قامت بالنّهب وأسر التّجار [2].

– كانت صقلية بلاد غنية وفيرة الخيرات وتمثّل أراضي جديدة يمكن فتحها واستغلالها [3].

(1) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، المرجع السابق، ص197.
(2) عبد الواحد ذنون طه وآخرين، المرجع السابق، ص262 .
(3) سوادى عبد محمد و صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص123 .

– أراد زيادة الله أن يظهر أمام رعيّته بمظهر المجاهد في سبيل الله فيكسب بذلك قلوبهم ،ويوطّد مكانته ومنزلته في نفوسهم. كما أنه عانى كثيراً من ثورات جنده، وفتنهم المتعدّدة، فأراد أن يكسر شوكتهم، ويتخلّص منهم بإشراكهم في هذه الغزوة.

– الجهاد في سبيل الله، فقد كان أهل افريقية قد تفقّهوا في الدّين الإسلامي وأصبح منهم العلماء والفقهاء، وساعدت الأربطةعلى تكوين طبقة من الصّالحين الذين كرّسوا حياتهم للجهاد ضدّ الرّوم، وكان الخروج لقتال الرّوم في صقلية أقصى ما يتمنّاه العابدون والصّالحون، ولا شكّ أنّ موافقة زيادة الله على اختيار أسد بن الفرات قائداً للحملة أصدق تعبير عن روح الجهاد المسيطرة على الفاتحين[1].

– ويعزو أحد المستشرقين سبب افتتاح الأغالبة لصقلية إلى أنهم لم يستطيعوا السّيطرة على برقة ومصر، وبقية المغرب، حيث كانت مصر تُحكَم مباشرة من قبل الدولة العباسية. أما في الغرب، فلم يستطع الأغالبة أي تقدّم يُذكر، لسيطرة الرّستميين على المغرب الأوسط، والأدارسة[2] على المغرب الأقصى.

– كانت صقلية ملجأ لأعداء العرب البيزنطيين اللذين هربوا في أثناء التّحرير العربي للغرب، واستقروا في الجزيرة، وعملوا على إعمارها، والإستعداد للوثوب منها على افريقية، وهذا شجّع الأغالبة على التّفكير جدياً في افتتاح الجزيرة، بعد أن تيسّرت لهم القوة البحرية الكافية، بالإضافة إلى الظروف السّياسية التي كانت تمرّ بها الإمبراطورية البيزنطية أثر في تشجيع الأغالبة على فتح صقلية [3].

السّبب المباشر للفتح:

أمّا السّبب المباشر الذي جعل زيادة الله يسرع بإرسال الحملة إلى صقلية هو أنّ قائداً رومياً يسمى يوفيميوس Euphemius (فيمي)، عارض حكم قسطنطين بطريق صقلية وأعلن الثّورة على الحكم البيزنطي وشقّ عصا الطّاعة، ذلك لأن حكومة بيزنطة كانت تشكّ في نوايا فيمي الإنفصالية،

(1) عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص300.

(2) الأدارسة : قامت دولة الأدارسة سنة 172هـ بالمغرب ومؤسسها إدريس بن عبد الله بن الحسن الذي فرّ من وقعة فخ فأقام دولته في المغرب الأقصى، وهي أول دولة للعلويين، وكان هارون في بداية خلافته يحسن إلى العلويين ولكنه بعد هذه الحادثة خافهم، وعاقب من مال إليهم أشد العقوبات. أنظر : إيناس محمد البهيجي، تاريخ الدولة العباسية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2017، ج1، ص56.

(3) عبد الواحد ذنون طه وآخرين، المرجع السابق، ص363.

وحرضت بطريق صقلية على التّنكيل بفيمي، وأعلن فيمي الثورة في سرقوسة، ولكنه فشل، فاعتزم التّخلّص من البطريق ومن حكم بيزنطة فاستنجد بالعرب، وكانت نوايا فيمي الإستقلالية والإنفصالية وطمعه في الملك وحكم صقلية، كانت من أسباب استعانته بالعرب لتخليصه من بطريق صقلية، وكانت صقلية قد تعرّضت من قبل لغارات عربية، فنبّهت الرّوم إلى هذا الخطر الداهم، واتّخذوا من صقلية قاعدة لحماية الإمبراطورية عند حدودها الجنوبية، فحصّنوها بالقلاع، ولم يتركوا جبلاً إلا وبنوا عليه حصناً [1].

وقد كان بين الأغالبة وصقلية هدنة فيها أن "من دخل إليهم من المسلمين وأراد أن يردّوه إلى المسلمين كان عليهم ذلك "، ولما وصل فيمي إلى الأمير زيادة الله لطلب العون أخبره أنّ عند الرّوم أسرى من المسلمين، فجمع زيادة الله الناس وأحضر القاضيان أبا محرز وأسد بن الفرات، فسألهما عن ذلك، فكان أبو محرز يرى عدم الأخذ بمقالة فيمي وصحبه، على أساس عدم جواز قبول شهادتهم على أنفسهم أو على خصومهم من أبناء جلدتهم، فقال « يُسْتَأنَى في هذا الأمر حتى يتبيّن »، وأما أسد فكان يميل إلى نقض المعاهدة فاعترض على تشكيك ابي محرز في شهادة فيمي وصحبه واعتبرهم رسل ملك الرّوم، فقال « يُسأل رسلهم عن هذا »، فقال أبو محرز « كيف يُقبل قول الرّسل عليهم، أودفعهم عنهم ؟ » فقال أسد « بالرّسل هادنّاهم وبالرّسل نجعلهم ناقضين، قال الله عزّ وجل ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُم الأَعلَون إِن كنتُم مُؤمِنين**﴾ [2] فكذلك لا نتماسك به، ونحن الأعلون »[3].

وانتصر رأي أسد حينما تأكّد للأمير زيادة الله وجود أسرى مسلمين في جزيرة صقلية، فلابد من فداء أسرى المسلمين [4]. فتمّ نقض تلك الهدنة مع الرّوم، وبناءاً على ذلك قرّر زيادة الله غزو جزيرة صقلية، وهو الأمر الذي كرهه علماء افريقية وقتئذٍ، لأنّه لم يصحّ عندهم أنّ الرّوم نقضوا العهد، وهكذا

(1) عصام الدين عبدالرؤوف، المرجع السابق، ص124.

(2) الآية 139، سورة آل عمران.

(3) الدبّاغ، المصدر السابق، ص23. سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، المرجع السابق، ص212.

(4) عصام الدين عبد الرؤؤوف الفقي، نفسه، ص125.

كان فتح صقلية مثل فتح الأندلس، نتيجة مباشرة لصراعات داخلية بين زعماء البلاد فطلب بعضهم معونة من العرب، أو سهّلوا عليهم أمر الإستيلاء على الجزيرة [1].

المبحث الثالث : انتداب أسد بن الفرات لفتح صقلية وسير عملية الفتح

اختيار أسد بن الفرات قائداً للحملة :

كان أسد بن الفرات على علمه وفقهه معدوداً من الشّجعان، فكان يتطلّع للجهاد في سبيل الله، وينتظر الفرصة لذلك، فلمّا قدم فيمي إلى زيادة الله مستنجداً به، شجّعه أسد على غزو صقلية، فأمر زيادة الله بالغزو، فسارع أسد إلى الخروج، ولكن زيادة الله كان متثاقلاً عن ذلك فكان أسد يقول «وجدوني رخيصاً فلم يقبلوني، وقد أصابوا من يُجري لهم مراكبهم من النواتية [2] فما أحوجهم إلى من يجريها لهم بالكتاب والسّنّة »[3]، ولمّا رأى زيادة الله حماس أسد للجهاد ولّاه قيادة الحملة، فقال أسد « من بعد القضاء والنّظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة؟، فقال زيادة الله : لا ولكنّي ولّيتك الإمارة وهي أشرف من القضاء، وأبقيت لك إسم القضاء، فأنت قاض أمير »، فأصبحت هذه الحملة تحمل صفة الجهادية، كونها يقودها قاضٍ فقيه عالم في القرآن والحديث [4].

كان الجيش الموجه لفتح صقلية يضمّ عناصر عديدة كالعرب والبربر والأندلسيين من جزيرة كريت، كما أنّ بعض الفُرس شاركوا فيها، ولعلّ بعض العلماء شاركوا في الحملة أيضاً محتذين في ذلك حذو أسد بن الفرات [5].

(1) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي،ج2 ، المرجع السابق، ص212 ص213 .

(2) النواتية : بتشديد الياء الأخيرة، جمع نوتى وتعني الملاحون في البحر.

(3) الدّباغ، المصدر السابق، ص22.

(4) عياض ، المدارك، المصدر السابق ، ص305.

(5) أمين توفيق الطّيبي، تاريخ صقلية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، مصر، 1980، ص14.

ورغم ما تقوله الرّواية من أنّه لم تجتمع الإمارة والقضاء لأحد ببلد افريقية إلا لأسد، فقد كان ذلك طبيعياً بالنسبة لأسد، إذ كان الجيش يحتاج دائماً إلى قاضٍ يسمى قاضي العسكر، للنّظر في أمور الحلال والحرام بين الجند، وينظر في مسألة توزيع الغنائم، وتحديد الخمس الخاص بالأمير، وهكذا بينما كان الإعداد للحملة يجري على قدم وساق، والنّاس يتوافدون على أسد يسألونه على الخروج معه، وما يحسن أن يكون معهم من العدّة والعتاد، أصدر زيادة الله سجلاً بولاية أسد على صقلية أميراً وقاضياً[1].

كان خروج أسد لغزو صقلية في ربيع الثاني سنة 212هـ / جوان 827م ، وكان جيشه يضمّ نحو عشرة آلاف فارس وما بين سبعين ومائة مركب سوى مراكب فيمي، ولما خرج أسد على رأس الجيش متوجّهاً إلى سوسة ليركب إلى صقلية، خرج معه الناس ووجوه أهل العلم ليشيّعوه، وأمر زيادة الله أن لا يبقى أحد من رجاله إلا شيّعه، فركب أسد في جمع عظيم، فلمّا رأى جميع هؤلاء النّاس حوله وقد صهلت الخيول وضربت الطّبول ونشرت البنود، قال بعد أن حمد الله«لا إله إلا الله وحده لا شريك له. والله، يا معشر الناس، ما وُلّي لي أب ولا جد ولاية قطّ، ولا رأى أحد من سلفي مثل هذا قطّ، وما رأيت ما ترون إلا بالأقلام، فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه، وثابروا عليه واصبروا على شدّته، فإنّكم تنالون به الدّنيا والآخرة »[2].

سير عملية الفتح :

سار أسد بن الفرات مع جيشه نحو صقلية فوصل إلى مدينة مازر، التي تمّ اختيار ساحلها مكانا لنزول الحملة، لأنّه يعتبر أقرب السّواحل الصقلية إلى افريقية، كما أنّها بعيدة عن مركز الثّقل البيزنطي في الجزيرة، وذلك على السّاحل الشرقي حيث سرقوسة وقطانيا وطبرمين، كما أنّ مدينة مازر نفسها كانت بعيدة في الداخل على بعد أميال من السّاحل. ثم أمر أسد بإخراج الخيل فأخرجت بهدوء وتبعها الرّجال، وعسكَر في ذلك الموضع، حتى يتفقّد مواضع قدميه في المكان مدّة ثلاثة أيام. فلم تكن

(1) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، المرجع السابق، ص216.

(2) أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ص271 ص272. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ص1026.

المنطقة محصّنة ولم يكن بها حاميات من البيزنطيين، فاستولى أسد على مدينة مازر، وبثّ سراياه في المنطقة حتى امتلأ المعسكر بالسلاح والغنائم [1].

طلب أسد بن الفرات من فيمي وأصحابه أن يعتزلوه بعدما خرجو معه إلى صقلية، وطلب منهم أن يجعلوا على رؤوسهم علامات يعرفون بها، حتى لا يتوهّم أحد من المسلمين أنهم من جيش بلاطة فيُصيبهم بمكروه [2]. وكان بلاطة ملك صقلية قد زحف في جيش تقول الرّواية أنّ عدد رجاله مائة وخمسون ألف [3]، وبدأت معركة طاحنة في 17 ربيع الثاني 212هـ / 14 جوان 827م بين الرّوم والمسلمين في مكان يسمى "مرج بلاطة " وبه سُمّيت المعركة، مابينمازروبلرم، وكان أسد بن الفرات بطل هذه المعركة فقد كان يحفّز المسلمين ويشجّعهم على القتال واللّواء في يده، فكان يزمزم بآيات من القرآن الكريم منها سورة يس، ويقول للناس « هؤلاء عجم السّاحل [4] هؤلاء عبيدكم. لا تهابوهم ! »، فانتصر المسلمون على الرّوم نصراً عظيماً وغنموا دوابهم وأموالهم، وهرب بلاطة إلى قلورية فقُتل بها [5].

وبذلك تحقّقت أول مرحلة من مراحل غزو صقلية على يد أسد بن الفرات الذي كتب إلى زيادة الله بالفتح، وكان على الأمير الأغلبي أن يخبر الخليفة العباسي في بغداد بما تمّ في صقلية من الفتوح باسم الخلافة وعاد أسد بن الفرات إلى معسكره بمازر، واستولى في طريقه على الحصون والقرى الواقعة على البحر، مثل "افيمية" التي كان بها كنيسة كبيرة، ثمّ قرّر أسد المسير نحو الشّرق إلى سرقوسة حيث قوات الرّوم الرّئيسية بعد أن رتّب قواته وترك على قاعدته في مازر أحد قادته [6].

حصار سرقوسة ووفاة أسد بن الفرات:

توجّه أسد إلى العاصمة سرقوسة من أقرب الطّرق وأكثرها أماناً، الطّريق الرّومانية القديمة المحاذية للساحل الجنوبي للجزيرة، وقبل وصوله إلى سرقوسة، اجتمع به بعض ممثّلي البيزنطيين من سرقوسة

(1) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، المرجع السابق، ص219.
(2) أبو بكر المالكي، المصدر السابق، ص262.
(3) الدباغ، المصدر السابق، ص23.
(4) قول أسد" هؤلاء عجم السّاحل "، يقصد بهم الذين هربوا من السّاحل لما فُتحت افريقية.
(5) أبوبكر المالكي، نفسه، ص262. ابن الأثير، المصدر السابق، ص436.
(6) سعد زغلول عبد الحميد، نفسه، ص220.

وعرضوا عليه أن يدفعوا الجزية، ولكن كان ذلك حيلة منهم لوقفه عن التّقدّم ريثما يستكملون استعداداتهم وتحصين المعاقل والقلاع، ونقل كنوز الكنائس إلى أماكن آمنة، وقد أدرك أسد بن الفرات بعد عدّة أيام أنّهم خدعوه، فعاد إلى الهجوم، وبثّ السّرايا في المنطقة لجمع الغنائم [1].

حاصر أسد سرقوسة براً وبحراً وجاءته الإمدادات من افريقية لنجدة المسلمين، ولكنّ والي بلرم زحف على المسلمين في سرقوسة لفكّ الحصار عنها، فخندق المسلمون على أنفسهم، وحفروا خارج الخندق حفراً كثيرة مموّهة، فلمّا حمل الرّوم على المسلمين، سقط منهم كثيرون في الحفر، وقتل منهم عدد كبير، وشدّد المسلمون على إثر ذلك الحصار على سرقوسة [2] التي كانت مدينة منيعة جداً، وتتمتّع بتحصينات قوية، ولم يكن مع أسد بن الفرات سوى ثمانية أو تسعة آلاف رجل، بسبب المعارك التي خاضها، والحاميات التي تركها في المواقع التي سيطر عليها في الطّريق،كما لم تتوفّر لديه آلات الحصار ولا المراكب الكبيرة الضّرورية التي تساعد في الإستيلاء على هذه المدينة الحصينة [3].

وخلال هذا الحصار حدث خلاف بين أسد بن الفرات وأحد قادته يسميه صاحب كتاب رياض النّفوس بابن قادم، وأصاب المسلمين جوع كبير حتى أكلوا الخيول، فخاطب الجند ابن قادم وطلبوا منه التّوسّط لهم عند أسد بن الفرات ليأمرهم بالرّحيل إلى افريقية، فقال ابن قادم لأسد « ارجع بنا إلى افريقية فإنّ حياة مسلم واحد أحبّ إلينا من جميع المشركين »، فقال أسد « ما كنت لأكسر غزوة على المسلمين، وفي المسلمين خير كثير ». فبدرت من ابن قادم كلمة سيّئة فقال لأسد «على أقل من هذا قتل عثمان » فضربه أسد بالسّياط ثلاثا أو أربع، وكأنّه قد ضرب فيه دعوة التّردّد والهزيمة، ونصر فكرة المقاومة والثّبات والصّبر، فتمّ له ما أراد، وعادت العزيمة القوية إلى الأنفس [4].

وتواصل حصار المسلمين لمدينة سرقوسة براً وبحراً، واقترحت سرقوسة عقد هدنة، إلا أنّ العرب رفضوا ذلك، وأصبح وضع أهل الجزيرة حرجاً، إلا أنّه حلّ بالمسلمين وباء شديد، أودى بحياة الكثير من

(1) عبد الواحد ذنون طه وآخرين، المرجع السابق، ص272.
(2) نهلة شهاب أحمد، تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص192.
(3) عبد الواحد ذنون طه وآخرين، نفسه، ص272.
(4) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص62 ص63.

منهم بمن فيهم أسد بن الفرات الذي كان حينها شيخاً كبيراً في السّن، فتوفي في ربيع الثاني من عام مائتين وثلاثة عشر بعد جهاد طويل وعنيف دام ثلاثة عشر شهراً [1].

وهناك بعض الرّوايات التي تقول بأنّه توفي نتيجة لجراحات شديدة أصابته وهو محاصِر لسرقوسة وهو ما ذكره أبو زيد عبد الرحمن الدباغ، في حين اكتفى كل من القاضي عياض والحميري بالقول أن وفاته كانت خلال حصار سرقوسة ودفن بذلك الموضع، وهو أوّل من فتح صقلية، وقبره ومسجده بسرقوسة [2]، وقيل أنّه دفن بمدينة قصريانة، وقال آخرون أنّه دفن بمدينة بلرم وذلك خطأ لأنّ هاتين المدينتين لم تفتح إلا بعد عدّة سنوات [3].

استكمال الفتح بعد وفاة أسد بن الفرات :

بعد الجهد الكبير الذي قام به أسد بن الفرات في فتح صقلية، وتمهيد الطّريق لقادة الفتح من بعده بفتحه لعدّة مدن هامة من صقلية، لم تتوقف عملية الفتح فواصل قادة جيش الأغالبة ما بدأه أسد بن الفرات، الذي كان لوفاته وقع سيئ في نفوس عسكره في ذلك الوقت الذي كان يفتك بهم الوباء حتى قيل أنّ رهائن الرّوم الذين كانوا لديه انتهزوا الفرصة وهربوا. فاجتمع رؤساء الجند واختاروا واحداً منهم ليخلف أسدا في الإمارة، وهو محمد بن أبي الجواري، وأمام الخسائر التي كان ينزلها الوباء بالقوة العربية وتهديد الرّوم، ترك العرب معسكرهم تحت أسوار سرقوسة وعادوا نحو الغرب إلى قاعدتهم مازر حيث قرّروا العودة إلى افريقية، وتقول الرّواية أنهم عندما ركبوا مراكبهم مغادرين مازر، وجدوا الأسطول البيزنطي يقف لهم بالمرصاد عند المرسى على بعد عدّة أميال من المدينة، ويمنعهم من المغادرة، وهنا لم يعد أمام العرب من خيار إلا البقاء في الجزيرة [4].

عاد الجيش الإسلامي إلى داخل الجزيرة ومعهم فيمي، فافتتحوا حصن ميناو الذي يبعد مسافة يوم واحد باتّجاه الشمال الغربي من سرقوسة، ثم استولوا على حصن آخر يدعى جرجنت، وسكنوا فيه،

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ص437.
(2) الدباغ، المصدر السابق، ص25.
(3) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص63.
(4) سعد زغلول عبدالحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، المرجع السابق، ص224.

وقد رفع هذا النصر من معنوياتهم، لهذا تركوا حامية ميناو، وتوجّهوا مع فيمي إلى قصريانة، التي تُعرف اليوم باسم " إينا "، وهي من أعظم معاقل الجزيرة التي تتمتع بمناعة طبيعية. وفي هذه المدينة اغتيل فيمي من قبل السّكان الذين تظاهروا بخلع طاعة البيزنطيين والإعتراف به إمبراطوراً عليهم [1].

ثم توفي محمد بن أبي الجواري فولّى المسلمون عليهم زهير بن غوث، وضيّق الرّوم على المسلمين في قصريانة فخرجت سرية من المسلمين للغنيمة فتصدى لها الرّوم وانهزم المسلمون، وشدّد الرّوم عليهم الحصار وضاقت الأقوات عليهم، ثم عزم المسلمون على الخروج من المدينة، فعلم بهم الرّوم ونصبوا لهم الكمائن، فقتلوا من المسلمين حوالي الألف وعاد أغلبهم إلى ميناو حيث حاصرهم الرّوم، وأشرف المسلمون على الهلاك، فوصل إلى الجزيرة أسطول من الأندلس عليه رجال نذروا أنفسهم للجهاد بقيادة أصبغ بن وكيل الملقب بفرغلوش، ووصلت كذلك إمدادات من افريقية حتى بلغ عدد السّفن ثلاثمائة سفينة. فزحفوا لنجدة إخوانهم في ميناو وفكوا الحصار عنها، ثم تقدّم المسلمون إلى بلرم [2] ففتحوها واتّخذوها قاعدة لهم سنة 216هـ / 831م [3].

كان فتح بلرم سبباً في فتح بقية مدن ومعاقل الجزيرة، ومنذ ذلك الحين صارت بلرم أهم قاعدة حربية، وأعظم مراكز القوة الإسلامية بصقلية، وصار لها نوع من الحكم الذّاتي. وتعدّ سنة 220 هـ / 835 م من أكثر السّنوات غزواً على مدن ومعاقل صقلية في البر والبحر، حيث كثرت فيها غزوات الصقليين في صقلية، ثم صارت إمارة صقلية إلى ابي الأغلب ابراهيم بن عبدالله بن الأغلب، الذي واصل حملات الجهاد الإسلامي ضد المدن والمعاقل البيزنطية في صقلية. وفي سنة 225 هـ / 839 م، فُتحت عدّة حصون من صقلية صلحاً منها مدينة قلورية، وبنهاية سنة 226 هـ / 840 م، أصبح الجزء الغربي

(1) عبد الواحد ذنون طه وآخرين، المرجع السابق، ص274.

(2) ضربوا الحصار عليها لمدة عام كامل، اضطرّ حاكمها بعد ذلك إلى طلب الأمان، وتسليم المدينة في 30 رجب سنة 216هـ، وهكذا أصبح للمسلمين موطئ قدم واسع في الجزيرة، بحيث يمكنهم من المضي في افتتاح بقية أجزائها، وقد اتّخذوها عاصمة لهم واستقرّوا فيها، ولم يعودوا بحاجة إلى الإنحياز إلى المعسكرات أو القلاع الصغيرة، وكانت هذه المدينة تقع في ناحية غنية، ولها ميناء جيد يوفر الإتصال الميسور بالشاطئ الافريقي، الأمر الذي يضمن للعرب الحصول على المؤن والإمدادات الدائمة من افريقية، ولذلك فقد اتّخذها المسلمون قاعدة لهم وأخذوا يزحفون منها على بقية النّواحي الأخرى من جزيرة صقلية. أنظر: عبد الواحد ذنون طه وآخرين، نفسه، ص276.

(3) سعدون نصرالله، المرجع السابق، ص91.

من جزيرة صقلية، تحت سيطرة المسلمين بعد جهاد جهيد، ومقاومة كبيرة. وفي سنة 228هـ / 842م، استولى المسلمون بقيادة الفضل بن جعفر الهمذاني على مدينة مسينى الهامة[1].

تواصلت الحملات العسكرية العربية على معاقل الرّوم البيزنطيين في صقلية فسيطروا على مدينة قصريانة الحصينة، التي حاول الرّوم استرجاعها ولكن دون جدوى، فقد فرض المسلمون سيطرتهم على ثلثي أراضي الجزيرة ولم يبق بيد البيزنطيين سوى السّاحل الشرقي حول مدينة سرقوسة وبعض الجهات الدّاخلية [2].

وحاول المسلمون عقب السّيطرة على الجزيرة الزّحف لمحاصرة روما عاصمة إيطاليا والعالم المسيحي، وكان الهدف من ذلك إيصال رسالة إلى الدّول المسيحية مفادها أنّ المسلمين قادرون على الوصول إلى أي مكان يريدون. وبهذا الفتح أضاف العرب جزيرة صقلية وغيرها من المناطق المجاورة إلى البقاع الإسلامية، وظلّت تجاهد بصقلية في سبيل الله وتُعِدّ الأساطيل لمنازلة الأسطول البيزنطي، وبدأت تلك الحرب بشارةٍ تميّزها أنّها كانت حرب جهاد ونشر للإسلام، إذ كان قائد الحملة إمام المالكية وقاضي القيروان أسد بن الفرات [3].

(1) علي بن محمد بن سعيد الزّهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية 212-484هـ / 826-1091م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنّظم الإسلامية، إشراف : ضيف الله بن يحي الزّهراني، المملكة العربية السّعودية، 1993، ص51 ص52.

(2) فراس سليم السامرائي، تاريخ المغرب العربي، دار الرضوان للنشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2012، ص123.

(3) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص338.

المبحث الرابع : نتائج فتح جزيرة صقلية

مما لاشكّ فيه أنّ فتح صقلية حقّق نتائج هامة انعكست إيجاباً على المسلمين والصّقليين أنفسهم وحتى على أوروبا، وأثّر في مختلف جوانب حياتهم الدّينية والسياسية والإقتصادية وبصفة خاصة الجانب العلمي، ومن هذه النّتائج مايلي :

في الجانب السّياسي :

أنهى الفتح الإسلامي لصقلية حكم الإمبراطورية البيزنطية في الجزيرة، فأصبحت جزيرة عربية تابعة للدولة الأغلبية، وكذلك انتهاء السّيادة البيزنطية على البحر المتوسط، لأن العرب المسلمين سيطروا على أحد المراكز البحرية الهامّة في هذا البحر، وهذا يعني التحكّم في القسم الأوسط الشّمالي من البحر المتوسط، بحكم موقع هذه الجزيرة فيه، وأصبح الأسطول العربي يتّخذ من صقلية قاعدة هامة للهجوم على الجزر والمضايق القريبة، لاسيما إيطاليا، ممّا مهّد لهم السّيادة على البحر التيراني [1] والأدرياتيكي [2]، وهكذا أصبح البحر المتوسط بحيرة عربية، إذا ما أخذنا بعين الإعتبار سيطرة العرب على شواطئ بلاد الشّام، ومصر، والمغرب، والأندلس، وسيادة عرب الجزيرة في شمال وشمال شرق البحر المتوسّط [3].

في الجانب الدّيني والإجتماعي :

كانت الآثار الحضارية للحكم الإسلامي في صقلية مبهرة، فقد ساد فيها جو من التّسامح الدّيني بين المسلمين وغيرهم، وأصبحت تضمّ أجناس مختلفة وديانات عديدة فمنهم المسلمون من عرب وبربر واليهود، والنصارى الذين كانوا يشكّلون أكثرية سكان الجزيرة، وازداد عدد المسلمين في الجزيرة نتيجة لاعتناق الكثيرين من سكانها الدّين الإسلامي، ويذكر الرّحالة المشرقي ابن حوقل أنّ مدينة بلرم

(1) يقع البحر التيراني على طول الساحل الغربي لإيطاليا، ويعتبر جزءاً من البحر المتوسط الأكبر، وهو يغطي مساحة تقارب 106 ألف ميل مربع، يحده من الشرق إيطاليا، ومن الغرب جزر كورسيكا وهي إقليم فرنسي وسردينيا هي إقليم إيطالي. وقد لعب هذا البحر دورا ثقافيا واجتماعيا هاما على مر التاريخ ولا سيما من حيث التجارة. انظر الملحق 2 ص71.

(2) فرع من فروع البحر المتوسط. انظر الملحق 1 ص70.

(3) نهلة شهاب أحمد ، المرجع السابق، ص196 .

وحدها كانت تضمّ نيّفاً وثلاثمائة مسجد [1] مما يدل على مدى التّغلغل الإسلامي في الجزيرة. وقد حافظ المسلمون على الهوية البيزنطية لأهل صقلية، على عكس ما كان يقوم به البيزنطيون من تغيير في اللغة الخاصة بالمنطقة وهويتها [2].

كما أنّ النّورمان [3] الذين حكموا الجزيرة بعد سقوط الحكم الإسلامي فيها، كانوا عاملاً فعالا في نشر الحضارة الإسلامية، والواقع أنّ عداوة النّورمان للمسلمين كانت في أول سكنى النورمان جزيرة صقلية، ولكن نجد بعد ذلك أنّ سياستهم سلمية نحو المسلمين، فقد كان النورمان متأثري بالحضارة الإسلامية، فكانوا يتوّجون أنفسهم بعبارة لا إله إلا الله، ويتّخذون علامة ملوك الإسلام: " الحمد لله حق حمده " ،ويلبسون العمائم مثل العرب [4]، والأكثر من ذلك أنهم كانوا يطلقون على أنفسهم ألقابا عربية مثل الملك روجر الثاني[5] الذي كان يتلقب بالسّلطان المعتز بالله [6]، وحمل ويليام الأول لقب "الهادي بأمر الله "، وحمل ويليام الثاني لقب" المستعز بالله " وقد ظهرت هذه الألقاب في نقوشهم[7].

(1) ذكر أيضاً أنّ بعض القوم كان كل واحد منهم يبني لنفسه مسجداً ليجلس فيه وحده، ويكون مقتصراً عليه، ولا يشرّكه فيه غير أهله وغاشيته، حتى أن جارين أخوين بنى كل واحد منهما مسجداً لنفسه، وذكر أيضاً أنّه رأى نحو عشرة مساجد متقاربة وبينها عرض الطّريق فقط. ابن حوقل، المصدر السابق، ص115.

(2) فراس سليم السامرائي، المرجع السابق، ص125.أمين توفيق الطّيبي، المرجع السابق، ص17.

(3) النّورمان : يرجع أصلهم إلى شبه جزيرة اسكندناوة حيث كانوا يعيشون هناك عيشة جهالة، وعرفوا باسم النورمان وهي تسمية جغرافية نسبة إلى الجهة الشمالية التي كانول يغيرون منها على أوروبا، والكلمة نورثان أي رجل الشمال، وهو اسمهم المشهور الذي أطلق عليهم، وعرفوا به رغم أنّ لهم إسماً آخر مشتق أيضاً من مكان إقامتهم، أطلق عليهم المعاصرون اسم الفايكينز وهي كلمة مشتقة من اللفظ فايك أي الخليج أو الفيورد أي أنهم عرفوا باسم سكان الفيوردات أي الذين يسكنون الخلجان بشكل كبير. أما المسلمين فسموهم باللأردمانيين، وأحياناً بالمجوس. انظر: عبدالرزاق حسين، المرجع السابق، ص37.

(4) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط7، 1996، ص289.

(5) روجر الثاني : كان يلقب بـ رجار المعتز بالله، ملك صقلية وايطاليا وقلورية، يصفه الإدريسي بأنه خير من ملك الروم. ويذكر الإدريسي أيضاً أنه كان عالماً بالرياضيات فيقول " وأما معرفته بالعلوم الرياضيات والعمليات فلا تدرك بعدّ ولا تحصر بحد، لكونه قد أخذ في كل فن منها بالحظ الأوفر وضرب فيه بالقدح المغلّى، ولقد اخترع من المخترعات العجيبة وابتدع من الابتداعات الغريبة ما لم يسبقه أحد من الملوك إليه ولا تفرّد به...". انظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة دار الثقافة الدينية، مصر، 2002، ج1، ص5.

(6) Hubert Houben , Roger 2 Of sicily : A ruler Between East And West , Tr : Graham A and Diane Milburn , Cambredge University Press , United Kingdom , 2002 , P 23 .

(7) راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم: إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والتّرجمة، مصر، ط2، 2009، ج1، ص699.

في الجانب الإقتصادي والعمراني :

عرفت صقلية بعد الفتح الإسلامي ازدهاراً اقتصادياً كبيراً، فقد حوّل المسلمون المنطقة إلى مركز صناعي وتجاري هام، فساهموا بذلك في زيادة التّبادل التّجاري العالمي في البحر المتوسط، فقد استطاع العرب التّحكّم في التّجارة العالمية المتّجهة إلى الشّرق، وإلى سواحل شمال افريقيا، والعابرة لطرق الصّحراء إلى السّودان، ممّا أدى إلى انتعاش إقتصادي ساد جميع دول البحر المتوسّط الإسلامية، لاسيما مدن صقلية وافريقية [1].وقد ساهم العرب في تنشيط الزّراعة بإدخالهم العديد من المزروعات، التي لم تكن موجودة في الجزيرة من قبل، مثل النّخيل واللّيمون واللوز والفستق والتّين ومختلف الأزهار، وأيضاً الموز والبرتقال، وبها بعض مراع في سهولها هيأت لكثير من قطعان الغنم والماعز والخنازير، ويكثر في سواحلها صيد البحر بمختلف أنواعه [2].

أمّا من النّاحية العمرانية فقد منح المسلمون صقلية ما لم تكن تحلم به في أية ظروف أخرى، فقد كان الفرق واضحاً بين مستواها العمراني عند دخول العرب لها وبين مستواها عند انتهاء سيطرتهم عليها، فكانت المساجد مجالاً خصباً تجلّت فيه عبقرية المسلمين وظهر فيها نبوغهم الفني، وبالرّغم من أنّ ما تبقى من مباني العرب بصقلية قليل إلا أنه يضمّ بين جنباته ملامح الفن العربي الذي تجلّى حينذاك، وكان مدرسة فنية قائمة بذاتها، وقد جمع إلى جانب الأناقة فنية الشكل، ومن أشهر تلك الآثار قصران هما قصر القبة و قصر العزيزة[3]، وهما بالقرب من بلرم[4].

أما الخطّ العربي في الزّخرفة فقد جعل الأوروبيين يعجبون بالتّحف الإسلامية وبما عليها من كتابة رغم عدم معرفتهم معناها، حتى أنّ الكثيرين من مصوري عصر النّهضة كانوا يزخرفون أطراف الملابس

(1) نهلة شهاب أحمد، تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص196.

(2) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص331.

(3) يعدّ قصر العزيزة وقصر القبة القائمان بالقرب من العاصمة بلرم من العمائر الإسلامية القليلة المتبقية بصقلية، وقد ثبت أنّ ما رواه المؤرخون والجغرافيون عن فخامة المباني الإسلامية في الجزيرة، فقد شُيّدت من الحجر المهذّب، وزخرفت بالرخام الثمين والفسيفساء وحفلت واجهاتها بالنقوش، وازدانت بالدّخلات، وعشّقت نوافذها بالسّوائرالجصية المعشق بها الزجاج الملون. أنظر: محمد الجهيني، صقلية وعمائرها الإسلامية في العصر الفاطمي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 2007، ص5. محفوظ عصام، رحلة ثقافية في سبعينات القرن العشرين شرقاً وغرباً، دار البيروني، عمان، ط1، 2006، ص120.

(4) يوسف حسن نوفل، المرجع السابق، ص20.

والأشرطة والأقمشة والمعادن وغيرها بحروف عربية وفي كثير من خزائن القصور والكنائس الأوروبية تحف إسلامية تشهد بذلك [1].

في الجانب العلمي والثّقافي :

أصبحت صقلية في ظلّ الحكم الإسلامي مركزاً من مراكز الإشعاع الحضاري، والتّنوير الثّقافي في أوروبا التي كانت تعيش حينها عصر ظلمات وجهل وانتشار للخرافات، فكانت صقلية بمثابة أندلس ثانية لها دورها في نشر الفكر الإسلامي والوعي والعلم، حتى أنّ الحضارة الإسلامية استمرت في الإزدهار في صقلية بعد احتلال النورمان لها، فقد قدّروا تفوّق المسلمين الحضاري، فآثروا الإنتفاع بعلوم المسلمين ومعارفهم وصناعاتهم، ولذا فقد سمحوا ببقاء جالية إسلامية في صقلية تعيش في ظلّ النورمان، وتتمتّع بالأمن والحرية الدّينية والنّشاط العلمي والصّناعي، ولا شكّ أنّ هذا التّسامح قد أخذه النورمان عن المسلمين تقليداً [2].

واستمرّ التّمازج الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في صقلية رغم سيطرة النّورمان عليها، وظهرت الأنشطة الفكرية من كتب ودراسات فقهية وأدبية ونحوية وعلمية ظهرت واضحة، وكانت قاعدة مؤثرة فيما بعد في التّراث النورماني والصّقلّي والغربي، ومن بين العلماء المسلمين الذين عُرفوا في صقلية نذكر على سبيل المثال لا الحصر، عليّ بن حمزة البصري الذي كان لغوياً وأديباً، وابن البر شارح ديوان المتنبّي، ومحمد بن خراسان النّحوي من علماء القرآن الكريم، وإسماعيل بن خلف الصقلي عالم في فن النّحو وفن القراءات، وأبو العبّاس من علماء الحديث، ومحمد بن إبراهيم التّميمي الصقلي وهو عالم آخر من علماء الحديث [3].

(1) يوسف حسن نوفل، المرجع السابق، ص20.

(2) شوقي أبو خليل، فتح صقلية بقيادة الفقيه المجاهد أسد بن الفرات، دار الفكر المعاصر، سوريا،ط2 ، 1998، ص79.

(3) حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1999،ص343.

ولعلّ الجغرافي الشّهير محمد الإدريسي من أبرز علماء صقلية في تلك الحقبة، فقد رسم لروجر الثاني ملك صقلية خريطة للعالم المعروف في عصره على دائرة فضّية مسطّحة، كما ألّف له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الذي يصف هذه الخريطة، ويعلّق المستشرق الرّوسي كراتشوفسكي[1] على هذا العمل في كتابه تاريخ الأدب العربي الجغرافي، بقوله عن روجر «...كان متأثراً بالثقافة العربية ومهتما بتعلم اللغة العربية، وتكليفُه عالماً عربياً بالذّات وضْعَ وصفٍ للعالم المعروف آنذاك دليل ساطع على تفوّق الحضارة العربية في ذلك العهد، وعلى اعتراف الجميع بهذا التفوّق، وقد كان بلاط النّورمان بصقلية نصف شرقي، هذا إن لم يكن أكثر من النّصف »[2].

كما تبنّى الملوك النّورمانديون الدّيوان العربي، فأنشأوا مدرسة للتّرجمة وفتحوا بلاطهم لشعراء عرب وجغرافيين مثل ابن حمديس الذي وصفته الباحثة جولي سكوت بـ"أعظم شاعر عربي في صقلية"، والسّكندري، وغيرهم[3]، وقد روّج الملك فريدريك أيضاً لترجمة الرّوائع العربية، وكتب له الفيلسوف العربي ابن سبعين عملاً عن خلود الرّوح [4].

(1) كراتشوفسكي: مستشرق روسي ولد في مارس 1883، درس اللغات الكلاسيكية اليونانية واللاتينية، بدأ بتعلم اللغة العربية بنفسه، التحق بكلية اللغات الشرقية في جامعة سان بيترسبرغ، ودرس التاريخ الإسلامي على يد المستشرق بارتولد.

(2) راغب السرجاني، المرجع السابق، ص698.

(3) Hubert Houben، المرجع السابق، ص102.

(4) Julie Scott Meisami And Paul Starkey ,Encylopedia Of Arabic Literature , V1, Rotledge , London , 1998 ,P 720 .

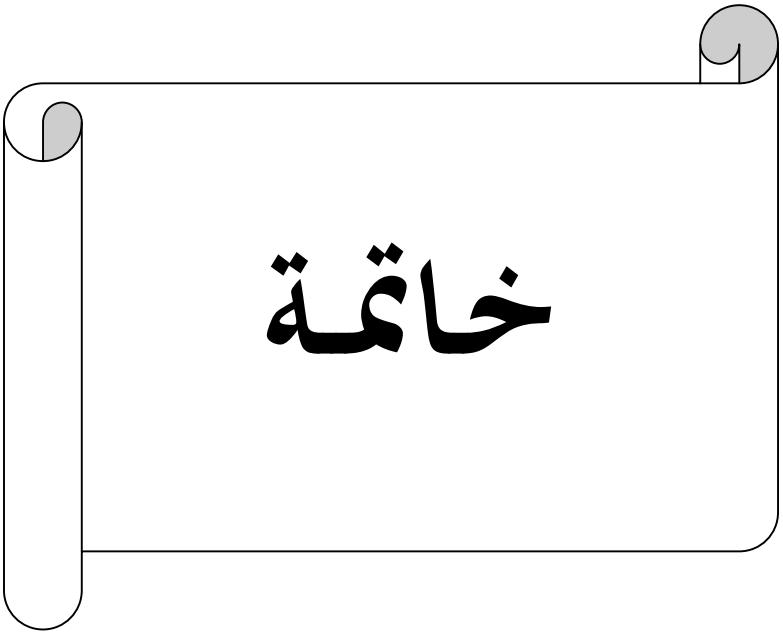
خاتمة

في نهاية هذا العمل الذي حاولت من خلاله إماطة اللّثام عن شخصية أسد بن الفرات والتعريف بحياته العلمية وإبراز دوره في فتح جزيرة صقلية توصّلت إلى مجموعة من النّتائج يمكن تفصيلها فيما يلي:

- اختُلف في تاريخ مولد أسد بن الفرات، فقد قيل أنه ولد سنة 143هـ وقيل سنة 145هـ، والرّاجح عندي أن مولده كان عام 142هـ/ 759م بحران شمال العراق، فقد دخل القيروان وعمره سنتان مع أبيه الفرات بن سنان في جيش محمد بن الأشعث سنة 144هـ.
- اشتهر أسد بن الفرات بالعلم والفضل والدّين، وكانت رحلته إلى المشرق في طلب العلم سبباً مباشراً في تكوينه العلمي وتفوّقه في الفقه والحديث، فقد لقي مالك بن أنس وتلامذته مثل ابن القاسم وعبدالله بن وهب، ولقي أصحاب أبي حنيفة مثل محمد بن الحسن وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وهؤلاء هم خيرة العلماء في ذلك الزّمان، فاجتمع لأسد من العلم ما لم يجتمع لغيره. ونقل ذلك العلم إلى تلامذته من بعده وأشهرهم الإمام سحنون صاحب المدونة، وهي نسخة منقّحة من الأسدية، اعتبرها المالكية أشرف ما أُلّف في الفقه وأصل المذهب وعمدته.
- تعدّ الأسدية التي كتبها أسد بن الفرات ثاني المؤلفات بعد موطّا الإمام مالك، وهي مجموعة من المسائل التي دوّنها عن محمد بن الحسن بعد أن ناظره فيها، ثم سأل عنها ابن القاسم فأجابه عن أغلبها بقول مالك من حفظه، وكان لها أثر كبير في نشرالمذهب المالكي في المغرب الإسلامي وتطوّر الدّراسة والبحث فيه.
- كل دليل على فضيلة أهل العلم يدل على فضيلة العلم، فأسد بن الفرات لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بالعلم، وكذلك رِفعته كانت على قدر علمه وإخلاصه وعمله بالسنة، فكان بذلك في أرفع الدّرجات في أعين النّاس .
- كان أسد بن الفرات عالماً، وفقيها، وقاضياً، وأميراً مجاهداً، تولى القضاء لزيادة الله سنة 203 هـ مع أبي محرز، فسار في الناس بالعدل، وتمّ توليته لغزو جزيرة صقلية ففتح أكثرها ويسّر السبيل لمن بعده لاستكمال الفتح، وهنا يكمن دوره في فتح صقلية، فنجح المسلمون في فتحها بعد حروب كثيرة، وتحولت صقلية إلى إحدى أهم المراكز العلمية والأدبية في منطقة البحر المتوسط،

واستمر تأثير المسلمين فيها حتى بعد سقوطها على يد النّورمان خاصة في عهد الملك روجر الثاني.

- كانت وفاة أسد بن الفرات رحمه الله خلال حصاره لمدينة سرقوسة سنة 213هـ. وله في صقلية مقامات مشهورة، وقبره ومسجده هناك.

ملاحــق

الملحق رقم 1: خريطة توضح نشاط المسلمين في صقلية وإيطاليا.

الملحق رقم 2: خريطة صقلية وجنوب إيطاليا.

الملحق رقم 3: خريطة جغرافية حديثة لجزيرة صقلية.

الملحق رقم 4: صورة لقصر القبة بمدينة بلرم.

الملحق رقم 5: صورة لقصر العزيز بمدينة بلرم.

الملحق رقم 1 : نشاط المسلمين في صقلية وإيطاليا

(1) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، مصر، ط1، 1987، ص164.

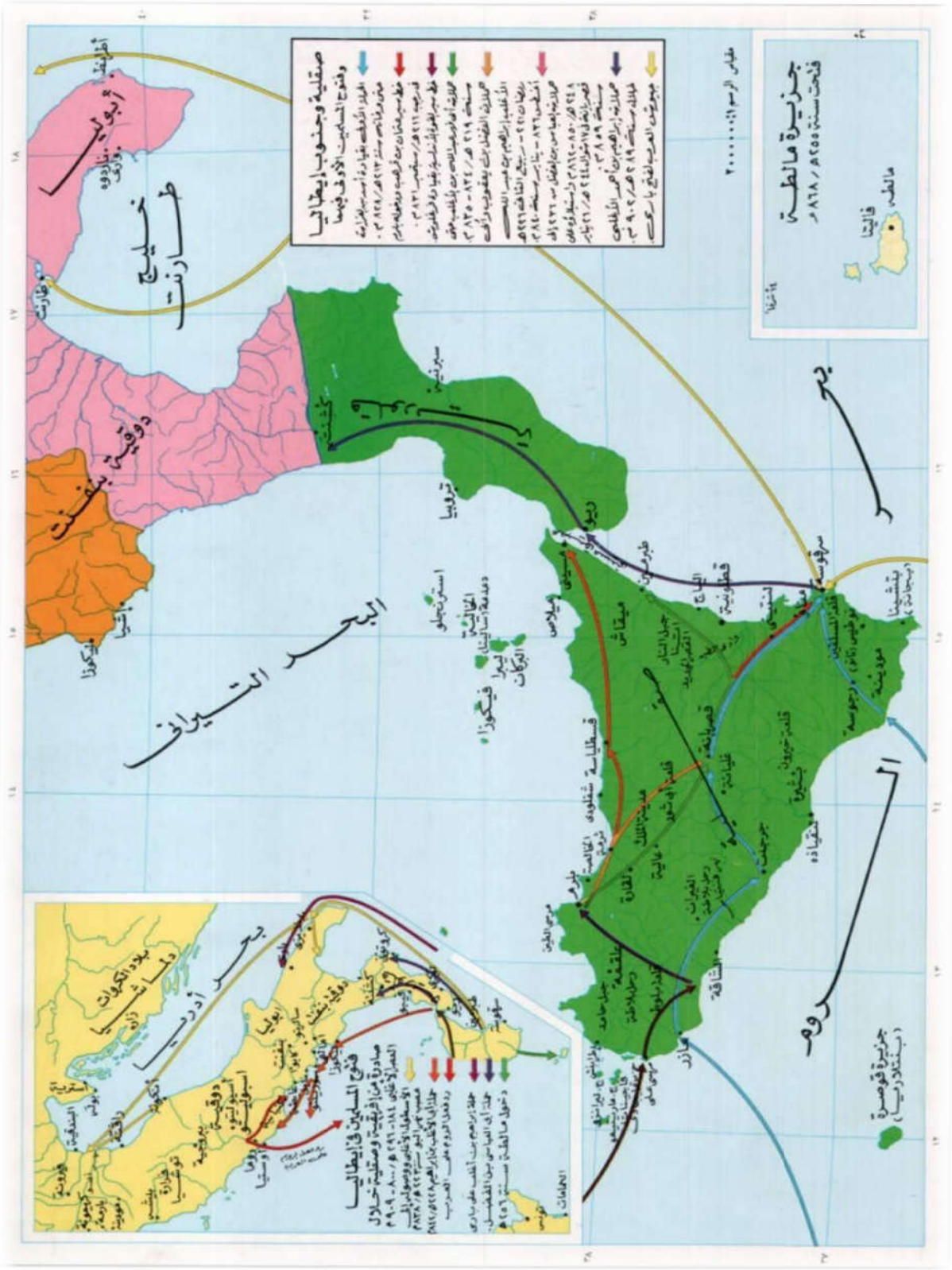

الملحق رقم 2 : جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا.

(1) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص163.

الملحق رقم 4 : قصر القبة بمدينة بلرم .

Carla Sessa Ettore et Eliana Mauro , Lart Arabo-NormandCulture (1) Islamique Dans La Sicile Médiévale, Museum With No Frontier , Italie , 2010 , P131 .

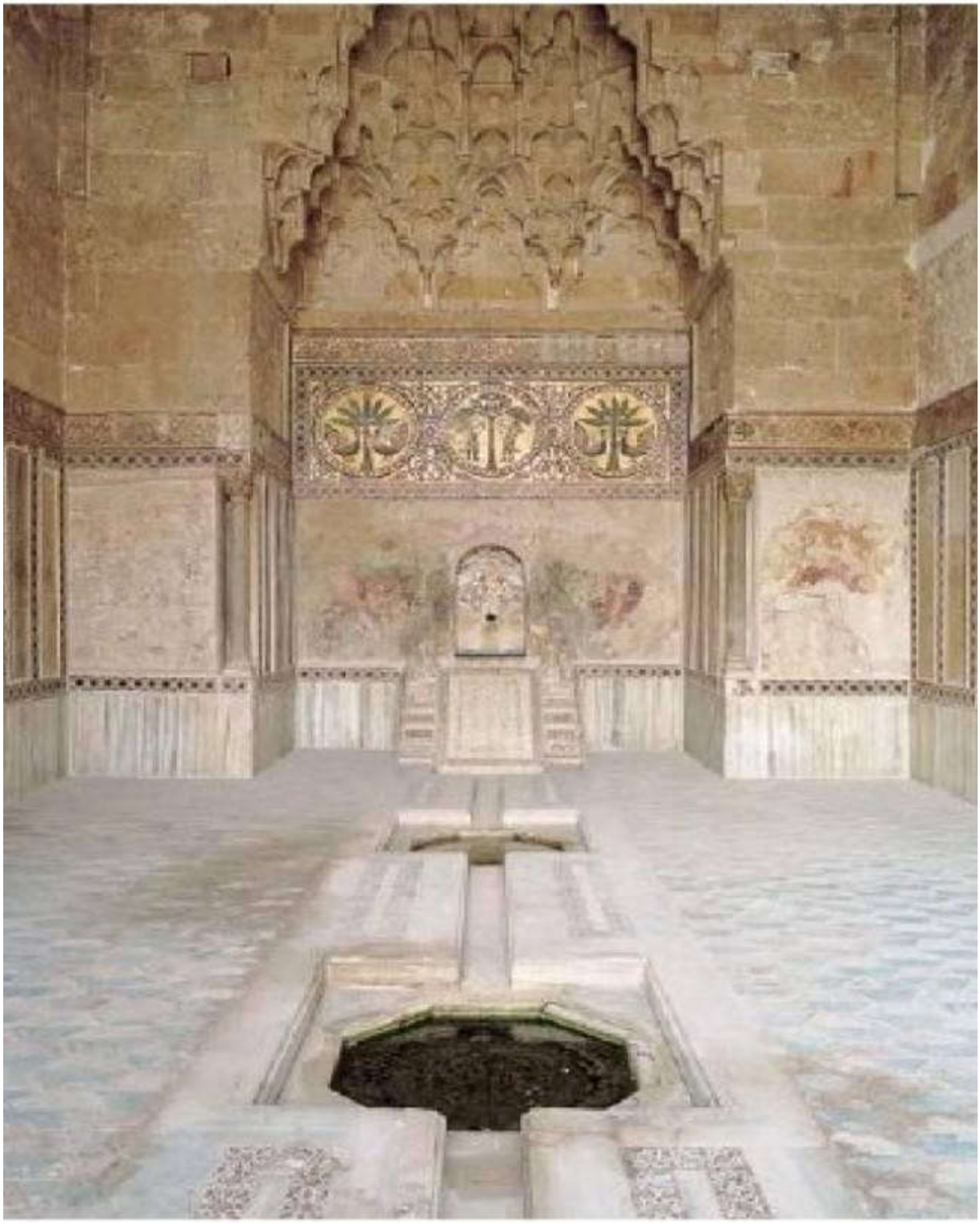

الملحق رقم 5 : قصر العزيز بمدينة بلرم.

(1) Carla Sessa Ettore et ElianaMauro ,Lart Arabo-Normand Culture Islamique Dans La Sicile Médiévale, p126 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر:

1) أول مصدر لجميع معلوماتنا هو القرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف.

2) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، البلدان، تق : محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2002.

3) ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: علي ابراهيم محمود، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 2008.

4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1987، ج5.

5) إبراهيم بن نورالدين بن فرحون، الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب المالكي، تق : مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

6) أبو العرب التميمي، طبقات علماء افريقية، تق: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، السعودية،ط1، 1984.

7) أبو زيد عبدالرحمن محمد الأنصاري الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تق : محمد الأحمدي ابو النور ومحمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، (د تا) ، ج2.

8) أبو يوسف يعقوب، كتاب الآثار، تق: سعود العثمان، دار الكتب للنشر والتوزيع، باكستان، 2013.

9) أبو بكر محمد بن عبدالله المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهّادهم ونُسّاكهم وسِيَرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تق: بشير البكوش، مر: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2 ، 1994، ج1.

10) أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، المدونة الكبرى مع مقدمات ابن رشد، تق: زكرياءعميرات، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2005، ج1.

11) أبو مصعب الزّهري، الموطّأ للإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة،تق: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، لبنان، ط1، 2016.

12) أحمد بن محمد نصرالدين النّقيب، المذهب الحنفي مراحله وطبقاته ضوابطه ومصطلحاته خصائصه ومؤلفاته، مكتبة الرشد للنشر والتّوزيع، ط1، السعودية، 2001،ج1.

13) البغدادي عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، دار صادر، لبنان، (د تا).

14) البكري، المسالك والممالك، تق: أدريان فان ليوفن و أندري فري، تر: سعد غراب، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1992.

15) الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج1.

16) ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تق : محمود علي مكي، وزارة الأوقاف، مصر، 1994.

17) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تق : عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5 ، (د.تا).

18) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ليبيا، 1994.

19) الشهرستاني، الملل والنِّحل، تق: أحمد فهيمي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3 ، 1992، ج1.

20) شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978،ج1.

21) الصفدي، الوافي بالوفيات، تق: أحمد أرناووط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000، ج1.

22) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تق: إبراهيم بحاز و محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1986.

23) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط2 ، ج3.

24) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تق: علي الخاقاني، مطبعة النجاح، العراق، 1985.

25) ابن القابسي، الموطأ برواية أبي عبد الله عبدالرحمن بن القاسم العتقي، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2004.

26) سحنون بن سعيد التنّوخي، فتاوى ابن سحنون، تق: مصطفى محمود الأزهري، دار ابن القيم ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، مصر، السعودية، ط1، 2011.

27) عبد العزيز بن يحي الكناني، كتاب الحيدة قصة المناظرة بين المؤلف وبشر المريسي في مسألة خلق القرآن، تق : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

28) عبد الرحمن ابن خلدون، رحلة ابن خلدون 1352 – 1401م ، تق: محمد بن تاويتالطنجي ، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2003 .

29) عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، تق : ابوصهيب الكومي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، (دتا).

30) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبو الفداء صاحب حماه، تقويم البلدان، تق: رينود و ماك كوكين ديسلان، دار صادر، دار الطّباعة السّلطانية، فرنسا، 1815.

31) عياض، تراجم أغلبية، تق : محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968.

32) مالك بن أنس، مُوطّأ الإمام مالك برواية يحي بن يحي بن كثير اللّيثي الأندلسي القُرطبي، دار الأرقم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط1، 2007.

33) ابن المبرد الدمشقي، إرشاد السالك إلى مناقب مالك، تق : رضوان مختار بن غربية، دار ابن حزم، لبنان، ط1 ، 2009.

34) محمد بن الحسن الشيباني، الإكتساب في الرزق المستطاب، تق: محمود عرنوس، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان 1986.

35) محمد بن ابي القاسم المعروف بابن ابي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1869.

36) محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984 .

37) محمد بن يوسف المصري الكندي، الولاة والقضاة، تق : حسن أحمد محمود، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908.

38) يحي بن يحي اللّيثي الأندلسي، الموطّأ لإمام دار الهجرة 92 – 179 هـ، تق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1997، مج 1.

39) ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تق: محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1988.

ثانياً :المراجع :

الكتب

1) أحمد الطويلي، حدث بالقيروان من فتح افريقية إلى سنة 1881، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2011.

2) أحمد بن عبدالعزيز الحصين، موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب، دار عالم الكتب، السعودية، ط3. 2007.

3) أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وإيطاليا، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، (دتا).

4) أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط1، 2003.

5) أحمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط1، 1988.

6) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2009.

7) امصنصف كريم، مذكرة في مبحث الإجتهاد، مر: عبدالسلام الحصين، كريسمناس 79 الخاصة والمحدودة للنشر الإلكتروني، السعودية، ط3، 2017.

8) إيناس محمد البهيجي، تاريخ الدولة العباسية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2017، ج1.

9) بهرام بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عمر الدّميري المالكي، الشّامل في فروع المالكية، تق: حامد عبدالله المحلاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017، ج 1.

10) حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت ،ط2، 1999 .

11) الحسن بن محمد شواط ، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، الدّار العالمية للكتاب الإسلامي ، السعودية ، ط1، 1990 ،ج1 .

12) حسن خميس الملخ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق، عمان، 2001.

13) حسن علي حسن، المغرب الإسلامي 122 – 923هـ، سفير للطباعة والنشر، مصر، 1996.

14) الحسين بن محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، السعودية، ط1 ، 1990م، ج1.

15) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، مصر، ط1، 1987.

16) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدّينية، مصر ، (د تا) .

17) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015.

18) خالد التوزاني، الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، دار السويدي للنشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 2017.

19) خضير جاسم العزاوي، الإمام عبدالله بن وهب وآراؤه الفقهية في العبادات، دار الكتب العلمية، العراق، 2011.

20) راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم : إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، ج1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والتّرجمة، مصر، ط2، 2009.

21) الزّركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، لبينان، ط7، 1986 ، ج3.

22) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية الإستقلال، دار المعارف، مصر، 1992، ج1.

23) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي: تاريخ دول الأغالبة والرّستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، دار المعارف، مصر، 1998، ج2.

24) سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003.

25) سوادى عبد محمد و صالح عمّار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، ط1 ، 2004.

26) سيف الدين الكاتب، أعلام من المغرب والأندلس، مؤسسة عزّ الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1982 .

27) شوقي إبراهيم، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والساسية ، مكتبة مدبولي، مصر، 2000.

28) شوقي أبو خليل، فتح صقلية بقيادة الفقيه المجاهد أسد بن الفرات، دار الفكر المعاصر، سوريا ، ط2، 1998.

29) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات ليبيا وتونس وصقلية، دار المعارف، القاهرة، 2009.

30) صادقي مصطفى، منهاج تدريس الفقه دراسة تاريخية تربوية، المعهد العالمي للفقه الإسلامي، لبنان، ط1، 2012.

31) عبد الباسط قوادر، ابن راشد القفصي وآثاره العلمية، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1،2011.

32) عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدّولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2007.

33) عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدّولة الأغلبية، تق: أحمد بن ميلاد و محمد إدريس، مر: حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990.

34) عبد العزيز المجدوب، الصّراع المذهبي بافريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدّار التّونسيّة للنّشر والتّوزيع، تونس، 1975.

35) عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1999.

36) عبد الواحد ذنون طه، الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004.

37) عبد الرزاق حسين، الأدب العربي في صقلية، دار المأمون للنشر والتّوزيع، الأردن، ط1، 2013.

38) عبد السلام هاشم حافظ، المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، الوكالة العامة للتوزيع، سوريا،ط3، 1982 .

39) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط7،1996.

40) عز الدين حسين الشيخ، الإمام محمد بن الحسن الشيباني محدثا وفقيهاً، دار الكتب العلمية، بيروت 1993 .

41) عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، تر: أمين توفيق الطّيبي، الدار العربية للكتب، مصر، 1980.

42) علي مصطفى الغرابي، تاريخ الفرق الإسلامية عند كتاب نشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة الأزهر، مصر، ط2،1985.

43) عواد عبدالله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرّشد، السعودية، ط2 ،1995.

44) فراس سليم السامرائي، تاريخ المغرب العربي، دار الرضوان للنشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2012.

45) فوضيل الصغير ذكار، مشكلات المدوّنة عند الإمام الرجراجي: " منهج التحصيل " وأثره في الخلاف الفقهي في المذهب المالكي، e-Kutub Ltd ، لندن، ط1 ، 2018.

46) كامل محمد عويضة، الإمام أبو حنيفة النعمان فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج5.

47) كمال السيد ابو مصطفى، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر ، 1997 .

48) محفوظ عصام، رحلة ثقافية في سبعينات القرن العشرين شرقاً وغرباً، دار البيروني، عمان، ط1، 2006.

49) محمد بو زهرة، أبو حنيفة حياته وعصره آراءه وفقهه، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1955.

50) محمد بو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2009 .

51) محمد الجهيني، صقلية وعمائرها الإسلامية في العصر الفاطمي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 2007.

52) محمد الصلابي، عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط1، 2017.

53) محمد الطّالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، تعريب: المنجيالصّيادي، مراجعة وتدقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1995.

54) محمد الطالبي، الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة (184 – 296هـ / 800– 909م) تحقيق ثلاث مخطوطات من مكتبة القيروان الأثرية، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2017.

55) محمد خير رمضان يوسف، فقيهات عالمات، دار طويق للنشر والتّوزيع، (د.ب)، (د.تا)، ص18.

56) محمد المختار محمد الماحي، المذهب المالكي مدارسه ومؤلّفاته – خصائصه وسماته، مركز زايد للتراث والتّاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2002.

57) محمد بن أبي بكر العبسي، إتحاف السّالك برواة الموطّأ عن الإمام مالك، تق: نشأت بن كمال المصري، المكتبة الإسلامية للنشر، مصر، ط1، 2006.

58) محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تق: عبدالمجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، ج1.

59) محمد حقي، البربر في الأندلس، المدارس للنشر والتوزيع، المغرب، 2001.

60) محمد عبدالغني حسن، الشريف الإدريسي أشهر جغرافيي العرب والإسلام، الهيئة العامة للتأليف والنشر، مصر، 2003.

61) محمد عزالدين الإدريسي، الإمام مالك والموطأ والمدونة بعيون مغربية، منشورات المجلس العلمي المحلي لمراكش، المغرب، ط1، 2016.

62) محمد مسعود جبران، علي بن زياد الطّرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني الهجري، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط1، 2010.

63) محمود إسماعيل، الأغالبة 184 – 296هـ، سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر، ط3، 2000.

64) محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، العراق، ط7، 1984،ج1.

65) ميعاد شرف الدين الكيلاني، تاريخ تكايا بغداد والمشيخة الصوفية في العهد العثماني، دار الكتب العلمية، مصر، ط1، 2014.

66) نجم الدّين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، مؤسّسة تبر الزّمان، تونس، 2004.

67) سعد زغلول عبدالحميد، تاري المغرب العربي : تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، دار المعارف، مصر، 1998 ، ج2.

68) نهاد عباس زينل و محمد بشير حسن راضي العامري، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطوّر الحضاري في أوروبا / القرون الوسطى 92 – 897هـ / 711 – 1492م، دار غيداء، الأردن، ط1، 2016.

69) نهلة شهاب أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2009.

70) نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تقديم: صلاح جرار، دار المامون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008.

71) وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، المذاهب الفقهية الأربعة أئمتها أطوارها أصولها آثارها، مراجعة: أحمد الحجي الكردي وآخرين، الكويت، ط1، 2015.

72) يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في افريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري.

73) يوسف حسن نوفل، العرب في صقلية وأثرهم في نشر الثقافة الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1965.

الرسائل الجامعية:

1) إسماعيل ساهي، رسالة ماجستير بعنوان: دور المذهب الحنفي في الحياة الإجتماعية والثّقافية بالمغرب الإسلامي، جامعة الجزائر، الجزائر، 1995.

2) حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف: كفاية الله همداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، باكستان، 2013.

3) علي بن محمد بن سعيد الزّهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية 212-484هـ / 826-1091م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنّظم الإسلامية، إشراف: ضيف الله بن يحي الزّهراني، المملكة العربية السّعودية، 1993.

4) علي محمود عبداللطيف الجندي، رسالة ماجستير مقدمة بعنوان " البربر في افريقية في العصر الأموي 40-132هـ / 660 - 751هـ "، إشراف: حسين يوسف دويدار، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، مصر، (د تا).

5) لمياء أحمد شافعي، المغرب الأدنى في عهد ولاة بني العباس حتى قيام الأغالبة من سنة 132هـ إلى سنة 184هـ/ 750– 800م، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: محمد زيتون، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدّراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1410هـ.

6) محمد عليلي، " الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرّستميين خلال القرنين 2 – 3هـ / 8 – 9م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، إشراف: معروف بلحاج، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر 2007 – 2008م / 1428 – 1429هـ.

المجلات :

1) مجلة دعوة الحق، المغرب، العدد 223، جويلية 1982.

المراجع الأجنبية:

1) Muhammad Ali AS-Sayiss, History Of Islamic Jurisprodence , Tr :Rami Touqan , Dar al-Kotob Al-ilmiyah , Beirut , 2017

2)Ahmed Ben Milad , Histoire De La MedecineArab En Tunisie Durant Dix Siecles , Cartaginoisries , Tunisie , 2016.

3)L.Gaston , Histoire De La Tunies Depuis Les Origines Jusqua Nos Jours , Editeurs Ahmad Colin , Paris

4)Hubert Houben , Roger 2 Of sicily : A ruler Between East And West , Tr : Graham A and Diane Milburn , Cambredge University Press , United Kingdom , 2002 .

5)Julie Scott Meisami And Paul Starkey ,Encylopedia Of Arabic Literature , V1, Rotledge , London , 1998.

6)M. Vonderheyden , LA Berberie Orientale sous la dynastie des BenoulAghlab(800-909) , Librairie orientaliste, Paris 1927.

7) Carla Sessa Ettore et ElianaMauro ,Lart Arabo-Normand : La Culture Islamique Dans La Sicile Médiévale ,Museum With No Frontier , Italie , 2010 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

- **شــكر وعـــرفان**.....

- **الإفـتـتــاحيـــــة**.....

- **الرموز والإختصــارات**.....

- **المـــــــقدمـــــــة** .....

-الفصـل التمهيدي : الأوضاع العامة في إفريقية زمن أسد بن الفرات (140 – 213هـ / 757 – 830م) .....ص 08-17

- **أولا**: الأوضاع السياسية في افريقية زمن أسد بن الفرات.....**ص 08**

- **ثانيا** : الأوضاع الإقتصادية في افريقية زمن أسد بن الفرات.....**ص 10**

- **ثالثا** : الأوضاع الإجتماعية في افريقية زمن أسد بن الفرات.....**ص 11**

- **رابعا** : الأوضاع الدينية في افريقية زمن أسد بن الفرات.....**ص 14**

- الفـصل الأول : أسد بن الفرات وحياته العلمية ص17-42

- **المبحث الأول : إسمه ومولده ونسبه** .....**ص 19**

- **المبحث الثاني : رحلته في طلب العلم**

- فضل الرّحلة العلمية وفوائدها **ص21**

- رحلة أسد بن الفرات لطلب العلم **ص23**

- عودته إلى افريقية وتوليه القضاء **ص26**

- المبحث الثالث : أبرز مشايخه وتلامذته

أ) أبرز مشايخه .....**ص 28**

ب) أبرز تلامذته **ص35**

– المبحث الرابع : آثاره وفضله ومكانته العلمية

– أ) آثاره : الأسدية .....**ص 37**

– ب) فضله ومكانته العلمية .....**ص 39**

– تفوقه في الحديث والفقه **ص39**

– موقفه من بعض المسائل في عصره.....**ص40**

الفصل الثاني: دور أسد بن الفرات في فتح صقلية ص46–65

– المبحث الأول : التعريف بجزيرة صقلية

– التسمية **ص44**

– الموقع والطّبيعة الجغرافية **ص45**

– التاريخ القديم **ص47**

– أوضاع صقلية قبيل الفتح الإسلامي **ص48**

– الحملات الإسلامية السّابقة على جزيرة صقلية **ص49**

– المبحث الثاني: أسباب ودوافع الفتح

– أسباب غير مباشرة **ص51**

– السبب المباشر للفتح **ص52**

– المبحث الثالث :انتداب أسد بن الفرات لغزو صقلية وسير عملية الفتح

– اختيار أسد بن الفرات قائداً للحملة **ص54**

– سير عملية الفتح **ص55**

– حصار سرقوسة ووفاة أسد بن الفرات **ص56**

– استكمال الفتح بعد وفاة أسد بن الفرات **ص58**

– المبحث الرابع : نتائج فتح جزيرة صقلية

- في الجانب السياسي **ص61**

- في الجانب الديني والإجتماعي .....**ص 61**

- في الجانب الإقتصادي والعمراني **ص63**

- في الجانب العلمي والثقافي **ص64**

-خـــاتمـة **ص67**

- المــلاحـق **ص70**

- قائمة المصادر والمـراجع .....**ص 74**

-فهـرس المـوضوعـات **ص85**